شعر لبيد بن ربيعة الإسلامي

(دراسة تحليلية نقدية)

إعداد

وائل صلاح إسماعيل محمود

مدرس الأدب والنقد

في كلية اللغة العربية بإيتاي البارود

(العدد الخامس والثلاثون)

(الإصدار الأول)

(١٤٤٣هـ - ٢٠٢٢م)

شعر لبيد بن ربيعة الإسلامي (دراسة تحليلية نقدية)

وائل صلاح إسماعيل محمود

قسم الأدب والنقد، كلية اللغة العربية، إيتاي البارود، جامعة الأزهر، جمهورية مصر العربية.

البريد الالكتروني: Waelsalah.2034@azhar.edu.eg

ملخص البحث: النزعة الإسلامية في شعر لبيد بن ربيعة العامري تدور فكرة هذا البحث حول قراءة شعر لبيد بن ربيعة قراءة متأنية، ومحاولة استخلاص وإحصاء الشعر الإسلامي منه، ودراسة هذا الاتجاه الشعرى عنده دراسة أدبية فنية، ومحاولة اثبات وجود النزعة الإسلامية في شعر لبيد وأصالتها عنده، والتأكيد علي وجود كم كبير من الشعر الذي انشده لبيد في إسلامه، وتفنيد مقولة أن لبيد بن ربيعة لم ينشد في الإسلام سوي بيتا واحدا من الشعر، ويقوم هذا البحث علي مقدمة تتناول التعريف بالبحث وخطته، وتمهيد بعنوان أثر الإسلام في الحياة الأدبية عند العرب، ثم ثلاثة مباحث رئيسة وهي: المبحث الأول وهو نبذة وترجمة عن حياة لبيد بن ربيعة، ثم المبحث الثاني وهو بعنوان الاتجاهات والصور الإسلامية في شعر لبيد بن ربيعة، ثم المبحث الثالث بعنوان الخصائص الفنية في شعر لبيد الإسلامي، ثم بعد ذلك تأتي خاتمة البحث متضمنة أهم النتائج التي توصل إليها البحث، ومنها: اختلاف شاعرية لبيد بن ربيعة في الإسلام عما كانت عليه في الجاهلية كمًا وكيفًا، حيث هدأت جذوة شاعريته عما كانت عليه في الجاهلية من توهج وتدفق، وهدأ وقصُر نفسه الشعري عما كان عليه من قبل من تطويل، فصار ينظم المقطعات والقصائد القصيرة بعد معلقات ومطولات الجاهلية، واختلفت كذلك نبرة وحدة صوته الشعري من الصخب والحدة الجاهلية إلي رقة العاطفة، وهدوء الطبع، وانسيابية القول والنظم، وأيضا غياب شعر الفتوحات والجهاد في شعر لبيد الإسلامي، وذلك راجع إلي عدم مشاركته أوحضوره غزاوت الإسلام وأيامه المجيدة.

الكلمات المفتاحية: النزعة؛ الإسلامية؛ شعر؛ لبيد؛ ربيعة.

The Poetry of Labid bin Rabi'a Al-Islami (A Critical Analytical Study)

Wael Salah Ismail Mahmoud
Department of Literature and Criticism، Faculty of Arabic Language، Itai El-Baroud، Al-Azhar University، Arab Republic of Egypt.
Email: Waelsalah.2034@azhar.edu.eg

Abstract: The Islamic tendency in the poetry of Labid bin Rabi'a Al-Amiri The idea of this research revolves around reading the poetry of Labid bin Rabi'ah carefully، and an attempt to extract and count Islamic poetry from it، and study this poetic trend with him، a literary and artistic study، and an attempt to prove the existence of the Islamic tendency in Labid's poetry and its authenticity with him. Emphasis on the existence of a large amount of poetry that Labid sang in his conversion to Islam، and the refutation of the statement that Labid bin Rabi'ah only sang a single line of poetry in Islam. Then there are three main sections: the first topic، which is an overview and translation of the life of Labid bin Rabi'ah، then the second topic، which is titled Islamic trends and images in the poetry of Labid bin Rabi'ah، then the third topic is entitled Technical characteristics in the Islamic poetry of Labid، and then comes the conclusion of the research، including the most important The findings of the research، including: The difference in the poetics of Labid bin Rabi'ah in Islam from what it was in the pre-Islamic era، in terms of quantity and quality، where the flame of his poetics calmed down from what it was in the pre-Islamic era of glow and flow، calmed and shortened his poetic self from what it was before He began to organize short passages and poems after the suspensions and lengths of pre-Islamic era، and the tone and unity of his poetic voice also differed from the clamor and sharpness of pre-Islamic times to the tenderness of emotion، calmness of nature، fluidity of speech and order، as well as the absence of the poetry of conquests and jihad in the Islamic poetry of Lapid، and this is due to his lack of participation or presence in Ghazawt. Islam and its glorious days.

Keywords: Tendency; Islamic; Poetry; lapid; Rabia.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام علي خير الخلق أجمين ، وخاتم الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد وعلي آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلي يوم الدين.

وبعد

فقد كان ظهور الإسلام حدثًا عالميا وكونيًا فريدًا، حوّل معه الحياة والأحياء إلي المسار الإنساني السليم المنضبط، بعد فترة من الرسل، وانقطاع من العلم ، وتخبط في جهل وظلام مطبق، خيّم علي البشرية والحياة كافة، فتحولت معه الحياة من أول يوم بدأ فيه خطو الإيمان يخطو في ثبات وبهاء، على كل الدروب والمستويات، متجهًا إلي إصلاح الحياة وتقويم مسارها، وإعلاء قيم الخير والحق فيها.

وقد واكب الأدب والشعر ظهور الإسلام وانتشاره في البيئة العربية، واستضاء بأنوار شمسه الهادية المشرقة، التى سطعت علي أرجاء الحياة العربية والإنسانية فأضاءتها وأصلحتها.

ولم يكن بين الإسلام والشعر ثمّة خلاف أو عداء يُذكر، بل علي العكس من ذلك تماما، فقد وجد الأدب والشعر في روافد الإسلام ومنابعه الثرّة الجديدة ما أكسبه جمالًا فوق جماله، وأمده بالكثير من الموضوعات والأساليب الجديدة، ووسّع له منافذ القول ومجالات الإبداع الأدبي، بعد أن كانت ضيقة محدودة لا تتعدى حدود البيئة العربية الجاهلية وما بها من قفار وأودية وجبال.

وقد دخل نفرٌ غير قليل من شعراء الجاهلية في الإسلام ، وصاروا جندًا من جنوده المخلصين، يدافعون عنه بألسنتهم جنبًا إلي جنب من يدافعون عنه بسيوفهم، وتحولت دوافع ومؤثرات الإبداع عندهم من نيران العصبية البغيضة، والتناحر والتنافر القبلي الممقوت، والتفاخر والتشبيب المبتذل إلي دوحة الدين الجديد، ومناصرة رسوله الكريم، والتغني بالخير والعدل والجمال ، ونشر الأخلاق والقيم الحميدة في ربوع الحياة .

وانطلقوا بنص صريح من القرآن الكريم وبأمر من رسول الله ﷺ ينصرون الدين الجديد، ويُعلون من كلمته، وينشرون مبادئه وتعاليمه السمحة بين الناس، من هؤلاء الشعراء الذين هجروا كفر الجاهلية وظلماتها إلي نور الإسلام وسماحته "حسان بن ثابت، وكعب بن زهير، وعبد الله بن رواحة، وعبد الله بن الحارث بن قيس، ولبيد بن ربيعة العامري وغيرهم .

وظل هؤلاء الشعراء علي شاعريتهم وموهبتهم الإبداعية في ظلال الدين الجديد، بعد أن هجروا السيئ والباطل من القول والشعر، وتمسكوا بالطيب والحسن منه، ولم يستطيعوا الفكاك عنه أو الابتعاد عن نظمه، وخاصة بعد أن تيقنوا بعدم مخاصمة الإسلام للشعر علي إطلاقه، وعلموا أن الشعر كلام، حسنه حسن، وقبيحه قبيح، غير أن من هؤلاء الشعراء من اتُّهِم بالتوقف عن قول الشعر بعد إسلامه، وأنه لم يقُل في الإسلام إلا بيتًا واحدًا، وهو "لبيد بن ربيعة العامري"، الذي قضي في الإسلام أكثر من ثمانين سنة، ومثلهم من قبل في الجاهلية، فكان من الشعراء المخضرمين المعمّرين.

وهناك من النقاد من ذهب إلي أن بعض المخضرمين من الشعراء الذين عاشوا في الجاهلية زمنًا ثم أدركُوا الإسلام ودخلوا فيه قد تركوا الشعر وزهدوا فيه ، وتوقفوا عن إنشاده، واتخذوا من لبيد بن ربيعة العامري نموذجًا لهذا الزعم الواهي الضعيف، فمنهم من قال عنه بأن لبيدا لم يقل في الإسلام إلا بيتًا واحدا!

وهو قول مجافٍ للحقيقة والصواب، ومردود علي أصحابه بالحجة والبرهان، حيث إن من يقرأ ديون لبيد بن ربيعة ويتمعن فيه يجده حافلًا بالعديد من الصور والمظاهر الإسلامية الراقية، وزاخرًا بالقيم والتعاليم الدينية والإسلامية السمحة، التي كانت صدًي طبيعيًا وطيبًا لإسلام لبيد بن ربيعة الصادق، وإشراقة نفسه وشعره بنور الإسلام وهديه ، وظهر صدق إيمان لبيد وعمق إسلامه من خلال شعره واضحا جليًا.

وبمعاودة قراءة ديوان لبيد بن ربيعة والوقوف علي أفكاره ومعانيه وأغراضه الشعرية نجده خلاف ما اتُهم به من عدم نظم الشعر في الإسلام، فنجده حافلًا وزاخرا بالعديد من الصور والمظاهر والجوانب الإسلامية المشرقة المضيئة، بما ينفضُ عنه غبار تلك التهمة المزرية، ويُفنّد هذا الزعم الباطل عن شعره، إذ ليس من المعقول أو المقبول أن نفسًا كنفس لبيد بن ربيعة المطبوعة علي قول الشعر تستطيع أن تعيش وتحيا تلك المدة الطويلة في الإسلام دون أن تتنفس بأنفاس الشعر الآسرة المؤثرة ، ودون أن تسبح وتُحلق في أجوائه الرحبة الفسيحة.

من أجل ذلك كانت الفكرة والرغبة لديّ في محاولة نقض هذا الحكم حول شعر لبيد بن ربيعة من خلال هذا البحث ، معتمدًا فيه علي الاستعانة بالمنهج الفني ، الذي يتناسب وتحليل وتفسير وتذوق وإحصاء الأشعار الإسلامية في ديوان لبيد، ومحاولة إثبات ما للبيد بن ربيعة من شعر إسلامي رائق عذب بديع، أنشأه ونظمه في إسلامه، لا سيما وهو الشاعر الذي أثني عليه وعلي كلامه النبي الكريم ﷺ وقال عن بعض شعره :

"إن أصدق كلمة قالها شاعر قول لبيد:([1])

ألا كلّ شيء ما خلا الله باطل ... وكل نعيم لا محالة زائل

فما كان للبيد وهو الموصوف بالصدق في قوله الشعري من أصدق الخلق والبشر ﷺ أن يتوقف عن الاستمرار في النطق بهذا الصدق من القول المشهود له به ، أو أن يحرم نفسه وأمته من خير وفيوضات تلك الموهبة الصادقة التي أودعها الله في نفسه .

وأنّي لرجل مثل لبيد بن ربيعة الذي عاش من العمر أكثر من مئة وخمسين سنة ([2]) أن يشغلَ نفسه وحياته الطويلة بشئ أكثر من إنشغاله بالشعر

---

١) خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب: عبد القادر بن عمر البغدادي تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة الطبعة: الرابعة، ١٤١٨ هـ – ١٩٩٧ م – ٢ / ٢٥٥ .

٢) الشعر والشعراء لابن قتيبة ص ٢٦٧ .

ونظمه، بجانب إنشغاله بالإسلام وبقرَاءة القرآن الكريم ، والذي لم يجد فيه لبيد أدني إشارة بتحريم الشعر أو التوقف عن نظمه وقوله .

من هنا كان الهدف من وراء هذا البحث الذي يقوم علي محاولة تفنيد وتكذيب هذا القول عن لبيد بن ربيعة، ودحض هذا الزعم الخاطئ عن شعره، بأنه لم يقل في الإسلام إلا بيتا واحدا، ومحاولة قراءة واستخراج الشعر الإسلامي من ديوان لبيد الضخم الكبير، ودراسته دراسة أدبية وفنية، والوقوف علي ما فيه من قيم ومبادئ ومثل إسلامية رفيعة، والوصول إلي محاولة وإثبات وإقرار إنشاء لبيد الشعر ونظمه له في ظلال الإسلام وتحت لوائه الحق.

وهو ما سوف نتطرق إليه بعد هذا التمهيد من محاولة إلقاء الضوء علي حياة لبيد بن ربيعة وإسلامه وشعره، ثم الحديث عن الموضوعات الإسلامية في شعره، ثم دراسة هذا الشعر الإسلامي دراسة فنية ونقدية .

ويأتي هيكل هذا البحث مشتملًا بعد هذه المقدمة علي تمهيد وأربعة مباحث علي النحو التالي :

التمهيد : ويتناول الحديث عن لبيد بن ربيعة وحياته وشاعريته .

المبحث الأول : وهو بعنوان موضوعات شعر لبيد بن ربيعة الإسلامي .

المبحث الثاني : الخصائص الفنية قي شعر لبيد بن ربيعة الإسلامي .

المبحث الثالث : شعر لبيد بن ربيعة الإسلامي في مرآة النقد .

ثم بعد ذلك خاتمة البحث ونتائجه .

واللّه من وراء القصد ، وهو الهادي الي سواء السبيل

التمهيد

(لبيد بن ربيعة العامري)

حياته وشعره الإسلامي

هو لبيد بن ربيعة بن مالك بن جعفر بن كلاب العامرىّ. أحد شعراء المعلقات في العصر الجاهلي، وكان يقال لأبيه «ربيع المقترين» لسخائه وكرمه . وقتلته بنو أسد فى حرب بينهم وبين قومه. ويقال قتله منقذ بن طريف الأسدىّ . ويقال قتله صامت بن الأفقم، من بنى الصّيداء، وكان عمر لبيد حين توفي أبوه تسع سنوات أو بضع عشرة سنة، وقد تكفل به أعمامه بعد قتل أبيه.

أما "أمه فهي تامر بنت زنباع من بنى عبس ، ويذكر لبيد نفسه أنها نشأت يتيمة في حجر الربيع بن زياد ، وتزوجت أولا قيس بن جزء بن خالد بن جعفر فولدت له أربد ، ثم تزوجها من بعده ربيعة ، فولدت له لبيدا ، وعلي هذا فإن أربد أكبر من لبيد ، وكان لعطفه علي أخيه الأصغر أثر كبير في نفس لبيد"[١]

واسم لبيد مشتق من قولنا لبد بالمكان إذا مكث به وأقام، لبَدَ بِالْمَكَانِ يَلْبُدُ لبُوداً ولَبِدَ لَبَداً وأَلْبَدَ: أَقام بِهِ ولَزِق، فَهُوَ مُلْبِدٌ بِهِ، ولَبَدَ بالأَرض وأَلْبَدَ بِهَا إِذا لَزِمَها فأَقام".[٢]

ويكنى لبيد أبا عقيل. وكان من شعراء الجاهليّة وفرسانهم .

وكان الحارث بن أبى شمر الغسّانىّ، وهو الأعرج، وجّه إلى المنذر بن ماء السماء مائة فارس وأمّره عليهم. فصاروا إلى عسكر المنذر، وأظهروا أنّهم أتوه داخلين فى طاعته، فلما تمكّنوا منه قتلوه وركبوا خيلهم، فقتل أكثرهم ونجا لبيد، حتّى أتى ملك غسّان فأخبره الخبر، فحمل الغسّانيّون على عسكر المنذر فهزموهم، وهو يوم حليمة .

---

١) مقدمة شرح ديوان لبيد بن ربيعة لإحسان عباس ص ١٧ .

٢) لسان العرب مادة لبد .

وأدرك لبيد الإسلام، وقدم على رسول الله ﷺ في وفد بني كلاب، فأسلموا ورجعوا إلى بلادهم. ثم قدم لبيد الكوفة وبنوه، فرجع بنوه إلى البادية (بعد ذلك)، فأقام لبيد إلى أن مات بها، فدفن في صحراء بني جعفر بن كلاب. ويقال إنّ وفاته كانت في أوّل خلافة معاوية، وأنه مات وهو ابن مائة وسبع وخمسين سنة "[١].

وكان لبيد أحد المعمرين ، قيل إنه عاش مائة وعشرين سنة، وأدرك الإسلام فأسلم، وقال ابن اللكبيّ وغيره، بل عاش ثلاثين ومائة سنة، وكان يوم جبلة ابن تسع سنين، وولد عامر بن الطُّفيل في ذلك اليوم. ووفد إلى النبي ﷺ، وهو ابن نيّف وثمانين".[٢]

وقيل أنه وفد علي الرسول ﷺ وقومه يعانون الفقر والمجاعة ، وأنه طلب من الرسول أن يدعو لهم بالسقيا، وقد أنشد في ذلك الأمر أبياتا .

ويمتد العمر بلبيد حتي أيام عثمان ، وقال الذين ذكروا أنه عاش حتى عام ٤١ هـ إنه توفي يوم دخل معاوية الكوفة وتسلم الخلافة من الحسن . ولم يكن للبيد ولد ذكر ، وإنما كان له ابن أخ يدعي أبا حنيف عهد إليه بتنفيذ وصيته الأخيرة بعد وفاته ، ولما حضرته الوفاة قال له: إن أباك قد توفي، فإذا قبض أبوك، فأغمضه واستقبل به القبلة، وسجه بثوبه، ولا تصح عليه صائحةٌ، ولا تبك عليه باكيةٌ، وانظر إلى جفنتي التي كنت أصنعها، فأجد صنعتها، ثم احملها إلى مسجدك لمن كان يغشاني عليها، فإذا سلم الإمام فقدمها إليهم، فإذا فرغوا فقل: احضروا جنازة أخيكم لبيد" [٣]. ودفن لبيد بالكوفة بعد أن عاش عمرا طويلا، ليس من السهل تحديده للاختلاف الكثير

---

١) الشعر والشعراء المؤلف: أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (المتوفى: ٢٧٦هـ) الناشر: دار الحديث، القاهرة عام النشر: ١٤٢٣ هـ ١/ ٢٦٦ .

٢) المعمرون والوصايا لأبي حاتم سهل بن محمد بن عثمان الجشمي السجستاني ص ٢٥.

٣) جمهرة أشعار العرب . لأبي زيد محمد بن أبي الخطاب القرشي تحقيق : علي محمد البجادي الناشر: نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع ص ٨٦ .

في سنة ميلاده وسنة وفاته، ولكنه في رأي المكثر مائة وسبع وخمسون سنة، وربما لم يقل عن مائة وعشر في أقل التقديرات. رحم الله لبيدا ورضي عنه وعن أصحاب رسول الله أجمعين .

بدأت علامات وأمارات النبوغ الشعرى عند لبيد بن ربيعة تظهرمنذ صغره ،حيث تحكى إحدى الروايات أن لبيدا كان غلامًا صغيرا يرافق أعمامه دومًا في أسفارهم، وكانوا يخلفونه في رحالهم ليحفظ لهم متاعهم، وأنه كان حينئذ مبتدئاً في قول الشعر فلذلك امتحنه أعمامه بوصف بقلة، وأنهم عادوا إليه فوجدوه يكدم وسط راحلته فحلقوا رأسه وتركوا له ذؤابتين وألبسوه حُلّة وغدوا به معهم إلي النعمان بن المنذر، فدخل عليه لبيد وهو قد دهن أحد شقى رأسه وأرخى إزاره وانتعل نعلًا واحدة "[١].

وفي رواية أخرى " أن النابغة الذبيانى نظر إلي لبيد وهو صبي صغير مع أعمامه علي باب النعمان بن المنذر فسأل عنه فنسب له فقال له: يا غلام، إن عينيك لعينا شاعر، أفتقرض من الشعر شيئا؟ قال: نعم يا عم ،قال فأنشدنى شيئا مما قلته، فأنشده قوله "ألم تربع على الدمن الخوالي "فقال له: يا غلام أنت أشعر بنى عامر، زدنى يا بنى فأنشده " طلل لخولة بالرسيس قديم" فضرب بيديه إلي جنبه وقال: اذهب فأنت أشعر من قيس كلها: أو قال هوزان كلها. وفي قول آخر قال له زدنى، فأنشده "عفت الديار فمحلها فمقامها " فقال له: اذهب فأنت أشعر العرب"[٢].

وتؤكد تلك الروايات إن صحّت على مدى أصالة وبكور موهبة لبيد الشعرية التى صيرته بعد ذلك من أسياد وكبراء قومه.

---

١) البصائر والذخائرلأبي حيان التوحيدي، المحقق: د/ وداد القاضي الناشر: دار صادر – بيروت الطبعة: الأولى، ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م . ٦ / ٢٣٨ .

٢) شرح المعلقات السبع لحسين بن أحمد بن حسين الزَّوْزَني، الناشر: دار احياء التراث العربي الطبعة: الأولى ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٢ م ص ١٦٧ .

فقد كان لبيد بن ربيعة خير شاعر لقومه فى الجاهلية، يمدحهم ويرثيهم، ويعدد مآثرهم وأيامهم، ويفخر بفرسانهم وبطولاتهم .

واعتنق لبيد الإسلام، وامتزجت شاعريته بروح الإسلام وبمبادئه السمحة، ونظم في ظلال الإسلام العديد من القصائد والأبيات الدينية التي تعبر عن إسلامه وتدينه السليم .

غير أن هناك من ذهب إلي القول بتوقفه عن نظم الشعر في الإسلام وانصرافه إلي قراءة القرآن، وهناك من ذهب إلي أنه لم يقل في الإسلام سوي بيتًا واحدًا .

ومن خلال النظر الدقيق فى ديوان لبيد نجد خلاف ذلك الرأي تماما، حيث إن غالبية قصائد ديوان لبيد يغلب عليها مسحة دينية وإسلامية خالصة ، بدأت ظهورها فى شعره الجاهلى الذي خالطته روح التدين منذ الجاهلية ، ثم زادها الإسلام عمقًا ورؤية في شعره بما ينفي عنه قول من قال أن لبيدًا لم يقل في الإسلام إلا بيتًا واحدًا، وما كان لشاعر تروى له السيدة عائشة ألف بيت من الشعر ويخلو ذلك الكم الكبير من روح الإسلام وقيمه، كذلك ما كان لنفس مطبوعة ومجبولة على قول الشعر كنفس لبيد بن ربيعة أن تستطيع أن تتوقف عن قول الشعر أكثر من ثمانين سنة عاشها لبيد في الإسلام، وعايش ولامس فيوضات وإشراقات الإسلام التي سطعت على أرجاء حياة العرب خاصة والإنسانية كافة ، وأمدَّ الإسلام وغذّى فنون القول والإبداع الأدبي بكثير من المجالات والاتجاهات، في الوقت الذي لم يُحَرِّم فيه الإسلام قول الشعر على إطلاقه، بل ضبطه وحدّ من مغالاة الشعراء وجموحهم في هذا الميدان الرحب الفسيح.

أما ما جاء في رواية أن عمر بن الخطّاب ﷺ قال للبيد : أنشدنى (من شعرك) ، فقرأ سورة البقرة، وقال: ما كنت لأقول شعرا بعد إذ علّمنى الله

(سورة) البقرة وآل عمران، فزاده عمر فى عطائه خمس مائة (درهم) ، وكان ألفين "[1].

فيبدو أن ذلك القول صدر متأخرًا في حياة لبيد بعد أن قضى زمنا في الإسلام ينشد فيه الشعر ، وذلك في مدة البعثة النبوية وخلافة أبي بكر الصديق ، أو ربما قال ذلك الأمر رغبة فى استمالة قلب عمر بن الخطاب ونيل المزيد من عطاياه ، حيث كان لبيد من المؤلفة قلوبهم ، ولم يكن من المتكسبين بشعره.

شعر لبيد الإسلامي

شعر لبيد بن ربيعة الإسلامي ظاهر وموجود بكثرة في أحشاء ديوانه بما لا يدع مجالا للشك في صحة نظم لبيد الشعر بعد إسلامه ، وقد نظم الشعر بعد إسلامه بما يتوافق ويتناسب مع روح الإسلام ومنهجه الحنيف ، وتناول شتي الموضوعات الإسلامية من الإيمان بالله تعالي ، والدعوة إلي توحيده وعدم الكفر به، وحسن الثناء علي رسوله ﷺ والتوسل به ، وإقامة الشرائع الدينية، والإيمان بالموت والعمل لما بعده من حساب وبعث .

وإذا قدَّرنا أن إسلام لبيد بن ربيعة كان في وفادة مبكرة علي رسول الله ﷺ نستطيع أن نحصي شعره الإسلامي وأن ننسب إلي فترة إسلامه كثيرًا من قصائده الإسلامية ومنها :

١- جميع قصائده في رثاء أخيه أربد وبعض أعمامه وهي علي حسب مطالعها وترتيبها في ديوانه كالتالي:

أصبحتُ أمشِي بعد سَلمَي بنُ مالكٍ وبعد أبِي قَيسٍ وعُروَة كَالأَجَبِّ[2]

قَضّ اللُّبَانَة لا أبا لكَ واذهبِ والحقْ بأُسرتكَ الكرامِ الغُيَّبِ[3]

طَربَ الفؤادُ وليتَهُ لمْ يَطربِ وَعَنَاهُ ذِكرَي خُلَّةٍ لم تَصْقَبِ[4]

---

١) الشعر والشعراء ص ٢٦٧ .

٢) ديوان لبيد ص ٢٤

٣) ديوان لبيد ص ٣٤

٤) ديوان لبيد ص ٣٦ .

مـــا إنْ تُعَـــرَّي المنُـــونُ مـــن أحـــدِ ... لا والـــــدٍ مُشـــــفقٍ ولا ولـــــدِ[١]

لـــــنْ تُفنِينَـــــا خَيـــــراتِ أرْ ... بَـــدَ فابكِينـــا حتّـــي يعـــودَا[٢]

إنْـــــعَ الكـــــريمَ للكـــــريمِ أربـــــدَ[٣]

لعَمـري لـئن كـانَ المُخَبِّـرُ صـادقًا ... لقد رُزِئَتْ فـي سالفِ الدهر جعفَرُ[٤]

يُـــذكِّرُني بأربـــدَ كُـــلُّ خَصـــمٍ ... أَلَـــدَّ تَخَـــالُ خُطَّتَـــهُ ضِـــرارَا[٥]

أبكـــي أبـــا الحَـــزَّازِ يَـــومَ مقامـــةٍ ... لُمنَـــاخِ أضـــيافٍ ومـــأوي مُقتـــرا[٦]

بلينَـــا ومـــا تَبلَـــي النُجُـــومُ الطَّوالِـــعُ ... وتَبقَـــي الجِبـــالُ بَعـــدَنَا والمصـــانعُ[٧]

يـــا مَـــيَّ قُـــومي فـــي المـــآتمِ وانـــدبي ... فتي كانَ ممن يبتنـي المجدَ أروعا[٨]

ألا ذَهَـــبَ المُحَـــافِظُ والمُحَـــامِي ... وَمَـــانِعُ ضَـــيْمنَا يَـــومَ الخِصَـــامِ[٩]

إنَّ تَقْـــوي رَبِّنـــا خَيـــرُ نَفَـــلْ ... وبـــإذنِ اللهِ ريثـــي وعَجَـــلْ[١٠]

٢- قصيدة أوصي فيها ابنتيه عند وفاته ومطلعها: [١١]

تمنَّي ابنتايَ أنْ يَعيشَ أبُوهُمَا .... وهَل أنَا إلَّا من ربيعة أو مضرْ

---

١) ديوان لبيد ص ٤٩ .

٢) ديوان لبيد ص ٥٠ .

٣) السابق ص ٥٣ .

٤) السابق ص ٧٣ .

٥) السابق ص ٧٤ .

٦) السابق ص ٧٥ .

٧) السابق ص ٨٨ .

٨) السابق ص ٩١ .

٩) السابق ص ٢٠٠ .

١٠) السابق ص ١٣٩ .

١١) ديوان لبيد ص ٧٩ .

٣ – أرجوزته في عهد عمر بن الخطاب ﷺ – عندما قام سليمان بن ربيعة الباهلي بتمييز الخيل العتاق من الخيل الهجن ، ومطلعها:(١)

منْ يبسُطِ اللهُ عليه إصبعا

٤ – قصيدة قالها يأسي لفراغ ديار بني عامر بعد هجرة الفتيان في الفتوحات ومطلعها:(٢)

إنما يحفظُ التُّقي الأبرارُ ... وإلي اللهِ يستقرُّ القرارُ

٥ – مقطوعة خاطب بها الرسول الكريم ﷺ حين وفد عليه ومطلعها:(٣)

أتيناكَ يا خيرَ البَرّيةِ كُلّهَا .... لِتَرْحَمَنَا مِمَّا لَقِينَا مِنَ الأزلِ

٦ – قصيدة طويلة أوصي فيها ابن أخيه حين حضرته الوفاةُ ومطلعها:(٤)

أُنْبِئتُ أنّ أبَا حَنِيِ ..... فِ لامني في اللائمينا

فهذه الأبيات السالفة الذكر هي مطالع لقصائد إسلامية للبيد بن ربيعة أنشأها في ظلال الإسلام ، وبذلك تتضحُ لنا غزارة وكثرة الشعر الإسلامي عند لبيد بن ربيعة ، الأمر الذي يدعو إلي دراسة ذلك الاتجاه الشعري عنده ، والوقوف علي ما به من أفكار ومضامين وموضوعات ، وذلك للوصول والتأكيد علي حقيقة قول لبيد الشعر في الإسلام وتفنيد مقولة أنه لم يقل في الإسلام إلا بيتًا واحدًا .

وقد حفل شعر لبيد بن ربيعة الإسلامي بالعديد من الموضوعات والمعاني الإسلامية الراقية ، ما بين الإقرار والإيمان بوحدانية الله تعالي ، والإيمان

---

١) ديوان لبيد ص ٩٥ .

٢) السابق ص ٧٦ .

٣) السابق ١٥٠ .

٤) السابق ص ٢١٤ .

بالموت وحسن الاستعداد والعمل لما بعده من بع وحساب ، وحسن اليمان والثناء علي رسول الله ﷺ والتوسل به لقضاء الحوائج ودفع الشدائد ، وير ذلك من الموضوعات والأفكار السلامية التي نتعرض لها بالتفصيل والبيان في المبحث التالي :

المبحث الأول

موضوعات شعر لبيد بن ربيعة الإسلامي

حفل ديوان لبيد بن ربيعة العامري بالعديد من الموضوعات الإسلامية في شعره ، وغلبت على الكثير من قصائده المسحة الدينية الخالصة ، التى هذّبها الإسلام وأصقلها، ثم زادها وعمّقها القرآن الكريم بألفاظه العذبة الرقيقة، ومضامينه السامية الراقية.

وتحدّث لبيد في شعره عن شتى القيم والأخلاق التى جاء بها الإسلام الحنيف وبثّها في نفوس أتباعه والمؤمنين به، باستثناء شعر الجهاد والفتوحات الإسلامية، والذى لم نقف على شيئ منه في شعر لبيد يذكر، وربما يرجع ذلك الأمر إلى اعتناق لبيد الإسلام فى مرحلة متأخرة من حياته، بعد أن تقدم به العمر وامتد، ووهنت قواه وخارت عزائمه، مما جعله لا يستطيع المشاركة الفعلية فى الفتوحات والمعارك الإسلامية التى عاصرها فى حياة النبي الكريم – ﷺ– وفى حياة الخلفاء الراشدين من بعده.

وطالما أن لبيدا لم يستطع المشاركة الفعلية في الجهاد والفتوحات الإسلامية فليس من المعقول أن ننتظر منه شعرًا يعبر عن تلك المواقف والبطولات الإسلامية.

وهو وإن كان قد وفد على النبي ﷺ فى وفادة مبكرة مع ظهور الإسلام إلا أنه كان قد بلغ به العمر مبلغًا كبيرًا ، ونراه يشير إلي ذلك في قوله :

الحمد لله الذي لم يأتنى أجلى ... حتى لبست من الإسلام سربالا

وتعددت الموضوعات الإسلامية التى عبّر عنها لبيد فى شعره ما بين موضوعات تتعلق بالإيمان بالموت وما يتبعه من بعث وحساب يوم القيامة ، وتحدث عن البر والتقوى ، والاعتبار والاتعاظ بأحوال الأمم والأقوام السابقة البائدة .

وذكّر في شعره بآيات الله في الكون وفي الحياة ، وتحدث عن قدرة الله وعظمته في الكون، ورغّب في الأعمال الصالحة والتزود بالتقوى ، وذمّ المعاصي والفواحش ونهى عن اقترافها .

ولم يغفل لبيد الحديث في شعره عن رسول الله ﷺ، فمدحه وأثني عليه، وتوسل به، وعند اقتراب أجله وإحساسه بدنو موعده أوصي في شعره بما يفعله أهله بعد موته وساعة دفنه، وغير ذلك من المعاني والمضامين الإسلامية والدينية الراقية التي تحدث عنها لبيبد في شعره والتى نفصّل فيها القول على النحو التالي:

إن أول ما يطالعنا به لبيد في ديوانه من شعره الإسلامى قصيدة ينعي فيها عمه أبا براء وعامر بن الطفيل ، ويتحدث في نهايتها عن سطوة الموت وغلبته لكل الأحياء يقول من الطويل:([1])

ألَمْ ترَ فيما يذكرُ الناسُ أنّنى ذكرتُ أبا ليَلي فأصبَحتُ ذا أرَبْ

فهوّنَ ما ألقَي وإنْ كنتُ مثبتًا يَقينى بأنْ لا حيَّ يَنجوْ من العَطَبْ

فهذا الشعر مما قاله في مدة البعثة النبوية بعد مصرع عمه أبي براء وعامر بن الطفيل بعد معاداتهما للنبي ﷺ وتربصهما به، ثم هلاكهما بعد ذلك ، وفي هذين البيتين نراه يتحدث عن إيمانه بالموت ، وإحاطته بجميع الخلائق ، وعدم نجاة أحد منه مهما كان أمره أو شأنه.

ونجد للبيد قصيدة أخرى يذكر فيها جبروت الموت ومدى سطوته ، ويعتبر فيها بمن مات وهلك من القرون الخالية يقول فيها من الكامل:([2])

بِهِ نَافِلَـــةُ الأجَـــلِ الأفْضَـــلِ ولَـهْ العُلـيَ وأَثِيـثُ كـلِّ مُوئَّـلِ

لاَ يستطيعُ النـاسُ محـوَ كِتَابِـهِ أنّـــى ولَـــيسَ قَضَـــاؤهُ بمُبَـــدّلِ

سَـوّي فـأغْلَقَ دُونَ غُـرَّةِ عَرشِـهِ سَـبْعًا طِباقًـا فَـوقَ فَـرْعِ المَنقَـلِ

---

١) ينظر ديوان لبيد بن ربيعة طبعة دار صادر بيروت ص ٢٥ .

٢) ديوان لبيد ص ١٢٦ .

والأرضَ تَحـتَهُمُ مِهَـادًا رَاسِـيًا ثَبَتَـتْ خَوَالِقُهَـا بصُـمِّ الجَنْـدَلِ
والمَـاءُ والنِّيـرانُ مِـنْ آيَاتِـهِ فِـيهِنَّ مَوْعِظَـةٌ لِمَـنْ لـمْ يَجْهَـلِ
بَـل كُـلُّ سَـعْيِك باطِـلٌ إلَّا التُّقَـي فإذَا انْقَضَي شيئٌ كَأنْ لمْ يُفْعَلِ
لـوْ كَـانَ شـيئٌ خَالِـدًا لَتَوَاءَلَـتْ عَصْمَاءُ مُؤْلِفَـةٌ ضَواحيَ مَأْسَلِ

نـرى فـى تلـك القصـيدة الإسـلامية الرائعـة ملامـح وآثـار الإسـلام الحنيـف حاضرة من بدايتها حتى منتهاها، حيث استهلها لبيد بالثناء الحسن الطيب على الله ﷻ ونسب وأرجع إليه كل فضل وخير، في حسن تقدير الآجال والأعمال والأرزاق بين خلقه ، ثم بيّن في البيت الثاني أن قضاء الله ﷻ وحكمه في الخلق ثابت وواقع لا يبدّل ولا يُغير، وأن كل ما يجرى في الكون بقضائه وحكمته ﷻ العلية في تدبير شئون الخلق، مستلهمًا في تقرير ذلك الأمر آيات من الذكر الحكيم ، فنرى التأثر الواضح بقول الله تعالي: "وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا"(١) وكذلك قوله تعالي: "وَكانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَراً مَقْدُوراً "(٢)، وقوله تعالي: "بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ"(٣).

ثم يمضي لبيد في البيتين الثالث والرابع يتحدث فيهما عن خلق الله تعالي للسموات والأرض ، وكمال وجمال خلقهما وحسن إبداعهما ، ومدي تسويتهما وإحكامهما ، مستعينا في ذلك ببعض أوصاف القرآن الكريم في شأن خلق السموات والأرض من ذلك قوله تعالي: "الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى * وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى"(٤)، وكذلك قوله تعالي: "أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهاداً * وَالْجِبالَ أَوْتاداً"(٥)

---

١) الآية ٢٩ سورة النبأ .
٢) من الآية ٣٨ سورة الأحزاب .
٣) الآية ١١٧ سورة البقرة .
٤) الآيتان ٢ – ٣ سورة الأعلي .
٥) الآة ٦ سورة النبأ .

ثم يمضى متحدثًا عن بعض آيات الله تعالي الظاهرة في الكون مثل الماء والنيران، وتلك الآيات التى تحمل في طياتها مدى العظمة والقدرة الإلاهية في خلقها وحسن إبداعهما .

ثم يتحدث لبيد بعد ذلك عن أثر وفضل تقوي الله ﷻ، وأنها هي السعى الباقي والنافع للإنسان في آخرته بعد زوال وانقضاء الدنيا وما عليها من زينة وحياة.

ثم يبين في البيت السابع أن كل شيئ في الدنيا مصيره إلي زوال وفناء، مستحضرًا في ذلك المعنى قول الله ﷻ: " كُلُّ شَيْءٍ هالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ"(١).

ثم يمضى في قصيدته مذكرًا ومخبرًا عما أصاب بعض العماليق والملوك السابقين في العصور البائدة من مهالك ونوازل أبادتهم ولم ينجو منها أحد!

فكما نرى في تلك القصيدة تكتنفها النزعة الإسلامية الواضحة من أوصاف جليلة للذات العلية، ومن إحصاء الله تعالي لأعمال العباد في كتب لا تبدل، ومن حديث عن خلق السموات والأرض، وتذكير بنعم وآيات الله تعالي علي خلقه، ومن الحث على التقوى والعمل الصالح، ومن الاعتبار بأحوال ومصائر السابقين.

وفي قصيدة أخرى نلمس الروح الإسلامية العالية، وتغلغل الإسلام وتأصُّله بنفس لبيد بن ربيعة، وذلك في لاميته المقيدة التي يقول فيها من الرمل:(٢)

إِنَّ تَقْوَي رَبِّنَا خَيْرُ نَفَلْ وَبِإِذْنِ اللهِ رَيْثِي وَعَجَلْ

أَحْمَدُ اللهَ فَلَا نِدَّ لَهُ بِيَدَيهِ الخَيْرُ مَا شَاءَ فَعَلْ

مَنْ هَدَاهُ سُبُلَ الخَيْرِ اهْتَدَى نَاعِمَ البَالِ وَمَنْ شَاءَ أَضَلْ

---

١) الآية ٨٨ سورة القصص.

٢) ديوان لبيد ص ١٣٩.

فنلمس ونجد في هذه المقدمة الإسلامية البارعة التى صدّر بها لبيد قصيدته المطولة عمق الروح الإسلامية وتغلغلها بنفس لبيد، حيث تحدث عن تقوي الله ﷻ حديثًا طيبًا ، مبينًا أنها خير زاد وخير نفل يتقرب به المرء لربه، مستحضرًا في تقرير ذلك المعنى قول الله تعالي: "وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَاأُولِي الْأَلْبَابِ"(١).

ويبين كذلك أن الإنسان لا يملك من أمره شيئًا، فحركته وسكنته طوع أمر الله تعالي ورهن مشيئته، وفي ذلك تأكيد على حسن إيمان المرء وصدق تسليمه لأمر الله تعالي.

ثم انتقل بعد ذلك إلي جانب الثناء على الله تعالي، وحمده بما يليق به صفات وأحوال، مبينًا أن الله تعالي فرد صمد، لا نِدّ له ولا نظير ولا شبيه، مستحضرًا في تقرير ذلك الأمر قول الله تعالي: "لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ"(٢).

ثم يبين أن الخير كله بيد الله ﷻ، يسوقه كيفما شاء لمن شاء، ونراه قد تأثر في هذا المعنى بقول الله تعالي: "قُلِ اللَّهُمَّ مالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ " (٣) .

ثم يوضح في البيت الثالث أن من هداه الله سبل الخير فهو السعيد المهتدى، ومن شاء أضله وأبعده ، مستحضرا في ذلك قول الله تعالي: "فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشاءُ "(٤). ثم يحثُ على حسن ترويض النفس وحسن سياستها من أجل الارتفاع والسمو بها ، ويكون ذلك بالكذب عليها في مواطن الضعف والعجز ، وإظهار الظفر لها، غير أنه لا ينصح بالكذب عليها في

---

١) من الآية ١٩٧ سورة البقرة .

٢) من الآية ١١ سوة الشورى .

٣) الآية ٢٦ سورة آل عمران .

٤) من الآية ٨ سورة فاطر .

مجال تقوى الله تعالي، بل علي المرء أن يصدق نفسه في أمر تقوى الله، ويحملها على امتثال ذلك الأمر والعمل به.

وهكذا يسير لبيد في غالبية أبيات تلك القصيدة الطويلة، تظهر من حين لآخر صدق عاطفته الدينية، وتشبع روحه بالقيم والمعانى الإسلامية المجيدة.

وفي موضوع آخر ومشهد إسلامي آخر يرسم لنا لبيد لوحة شعرية إسلامية بديعة يبين فيها فضل المتقين الأبرار يقول فيها من الخفيف:([1])

إِنَّمَــا يَحْفَــظُ التُقَــي الأَبْــرَارُ وَإِلَـــي اللهِ يَسْـــتَقِرُّ القَـــرَارُ

وَإِلَـــي اللهِ تُرْجَعُـــونَ وعِنـــدَ اللهِ وِرْدُ الأُمُـــورِ والإِصْـــدَارُ

كـلُّ شَـيءٍ أَحْصَـي كِتَابًـا وَعِلْمًـا وَلَدَيـــهِ تَجَلَّـــتِ الأَسْـــرَارُ

إِنْ يَكُنِ فِي الحَيَاةِ خَيرٌ فَقَدْ أُنْ ظِـرْتُ لَـوْ كَـانَ يَنْفَـعُ الإِنْظَـارُ

عِشْتُ دَهْرًا وَلَا يَدُومُ عَلَـي الأَيَ يَـــامِ إِلَّا يَرَمْـــرَمُ وَتِعَـــارُ

نري لبيدا يتحدث في تلك الأبيات عن فضل التقوى وفضل المتقين الأبرار، ثم يؤكد أنّ جميع الأمور والأحوال مآلها ومرجعها إلي الله تعالي وحده، وإليه يستقر ويرجع الأمر والقرار. ويحذرُ الناس من يوم القيامة، ويخبرهم أنهم سوف يعرضون في ذلك اليوم على الله تعالي للحساب والجزاء ، بعد أن أحصى أعمالهم في كتاب عنده يشهد عليهم بها ، ولعله استحضر في ذلك المعنى قول الله تعالي: "وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْناهُ كِتاباً". ثم نراه في البيت الرابع يبين أن خير الحياة قليل ومتاعها زائل ومنقضي ، مهما عمَّر فيها المرء وعاش، مشيرًا بذلك إلي أن راحة المرء وسعادته الحقيقية يوم أن يلقى ربه في الآخرة مؤمنا صابرا محتسبا.

وهكذا تظهر الروح الإسلامية في تلك القصيدة بصورة واضحة جلية، ويظهر فيها عمق المعانى والقيم الدينية التى جاء بها الإسلام الحنيف، ويظهر فيها

---

١) ديوان لبيد ص ٧٦ .

كـذلك التـأثر الواضـح والكبيـر بمعـانى وتعبيـرات القـرآن الكـريم ومضـامينه الراقية .

ومن الموضوعات الإسلامية كذلك التي نظم فيها لبيد حمدُ الله تعالي وحسن الثناء عليه حي يقول من الوافر:([1])

حَمِدتُ اللهَ ، واللهُ الحميدُ ... ولله المُؤثَّلُ والعديدُ

فإنّ لله نَافِلَةٌ تُقاهُ .... وَلَا يَقَتالُهَا إلا سَعِيدُ

فكما نري في هذين البيتين تظهر الروح الإسلامية ماثلةٌ وحاضرةٌ فيهما بقوة ووضوح، بعد أن حمدَ الله تعالي وأثني عليه ثناءً حسنًا، وأشار إلي أن الله تعالي هو الذي بيده العطاء والمنع، والهداية والضلال، وأن من يهبُهُ اللهُ تعالي هبَةَ التُقي والهداية فقد نالَ منه الخير الوفير والفضل الكبير في الدارين.

ومن شعر لبيد بن ربيعة كذلك المصطبغ بالصبغة الإسلامية والمتأثر فيه بروح الإسلام جميع قصائده التى أنشدها في رثاء أخيه أربد ، ومنها قصيدته العينية من الطويل وقال فيها:([2])

بَلِينَا وَمَا تَبْلَى النُجُومُ الطَوَالِعُ ... وَتَبْقَي الجِبَالُ بَعْدَنَا وَالمَصَانِعُ

وقَدْ كُنتُ فِي أَكْنَافِ جَارِ مَضَنّةٍ ... فَفَارَقَنِى جَارٌ بِأَرْبَدَ نَافِعُ

فَلاَ جَزِعٌ إِنْ فَرّقَ الدَهْرُ بَيْنَنَا ... وَكُلُّ فَتَى يَوْمًا بِهِ الدَهْرُ فَاجِعُ

فَلاَ أَنَا يَأتِيْنِى طَرِيفٌ بِفَرْحَةٍ ... وَلَا أَنَا مِمَّا أَحْدَثَ الدَهرُ فَاجِعُ

وَمَا النَاسُ إِلّا كَالدِيَارِ وَأَهْلُهَا ... بِهَا يَوْمَ حَلُّوها وَغَدْوًا بَلَاقِعُ

وَمَا المَرْءُ إِلَّا كَالشِهَابِ وَضَوئِهِ ... يَحُورُ رَمَادًا إِذْ هُوَ سَاطِعُ

وَمَا البِرُّ إِلَّا مُضْمَرَاتٌ مِنَ التُقَى ... وَمَا المَالُ إِلَّا مُعْمَرَاتٌ وَدَائِعُ

وَمَا المَالُ وَالأَهْلُونَ إِلاَّ وَدِيْعَةٌ ... وَلَا بُدَّ يَوْمًا أَنْ تُرَدَّ الوَدَائِعُ

وَيَمْضُونَ أَرْسَالًا وَنَخْلُفُ بَعْدَهُم ... كَمَا ضَمَّ أُخْرَى التَالِيَاتِ المَشَايِعُ

---

١) ديوان لبيد ص ٤٤ .

٢) ديوان لبيد ص ٨٨ .

وَمَـا النَـاسُ إلاَّ عَـامِلاَنِ : فَعَامِـلٌ يُتبّــرُ مَــا يَبْنِــي ، وَآخَــرُ رَافِــعُ
فَمِــنْهُم سَــعِيدٌ آخِــذٌ لِنَصِــيْبِهِ وَمِــنْهُم شَــقِيٌ بِالمَعِيشَــةِ قَــانِعُ
أَلَــيْسَ وَرَائِــي إِنْ تَرَاخَــتْ مَنِيتّــي لُزُوْمُ العَصَا تُحْنّى عَلَيْهَا الأَصَابِعُ
أُخَبِّرُ أَخْبَارَ القُرونِ التّـى مَضَتْ أَدِبُّ كَــأنى كُلَّمَــا قُمْــتُ رَاكِــعُ
فأَصْبَحتُ مِثْلَ السَيفِ غَيَّرَ جَفْنَـهُ تَقَادُمُ عَهْدِ القِيَنِ والنَصْلُ قَاطِعُ
فَــلاَ تَبْعَــدَنْ إِنَّ المَنِيَّــةَ مَوْعِــدٌ عَلَيْــكَ فَــدَانٍ لِلْطُلُــوعِ وَطَــالِعُ

فكما نرى في هذه القصيدة أن الروح الإسلامية ماثلة وحاضرة في تضاعيف أبياتها بصورة واضحة وجلية، نري ذلك في إيمان لبيد بن ربيعة الصادق والموقن بالموت والفناء لكل المخلوقات، وحثُه على البر والتقوي، وهما من القيم والمعاني الإسلامية الأصيلة، وتحدث عن المال والأهل، وبيّن أنهما ظلاَّن زائلان، ووديعتان مسترجعتان، مهما طال بهما الدهر أو العمر، أو استمتع بهما المرء في حياته فلابد من فنائهما وزوالهما .

ثم انتقل لبيد بعد ذلك إلي الحديث عن أحوال الناس وأصنافهم في الحياة، فما بين شقي منهم وسعيد، ونراه متأثرًا في هذا التقسيم بقول الله تعالي: "يَوْمَ يَأْتِ لا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلاَّ بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ"(١). ثم يتحدث بعد ذلك عن تقدم العمر به، وبلوغه من الكبر عتيًا، حتى صار كهلًا لا يستطع الحراك إلا متكئًا علي عصاه ، يروى ويقُصُّ للأجيال ما مرّ به من أحداث وما عاصر من خطوب وتجارب.

وفي آخر القصيدة نراه يثبت أن علم الغيب لله تعالي وحده ، وينفي ويُبطلُ ما يوقن الناس به من أمور الكهانة والتطيّر التى كانت سائدة في عصره .

وهكذا نرى القصيدة من بدايتها حتى نهايتها مفعمة بالروح الإسلامية العالية ، والمعانى والقيم الدينية الرفيعة ، التى جاء بها الإسلام وحثّ عليها

---

١) الآية ١٠٩ سورة هود .

وأقرها بين الناس، مما يؤكد ذلك على قوة وأصالة الوازع الديني في شعر لبيد بن ربيعة دون مراء .

وعلى هذه الشاكلة تأتى أغلب قصائد لبيد بن ربيعة في رثاء أخيه أربد، والتى احتوت على الجزء الأكبر في ديوانه، وعلى الرغم من مصاب لبيد الجلل بموت وفقدان أخيه أربد الذي كان يحبه كثيرًا، ويعتمد عليه كثيرا في حياته، وتأثره البالغ بموته إلا أنه لم يفقد صوابه أو إيمانه بمصاب أخيه ، فنجد أن الإسلام قد هذّب وقوّم تلك العاطفة بنفس لبيد، وغلّفها بغلاف الإيمان والصبر والرضا بقضاء الله وقدره .

ونلحظ الروح الإسلامية المتشبعة بالإيمان بالموت والتسليم له تتجلى وتظهر في رثاء لبيد لأخيه أربد ومن ذلك قوله من الطويل:([1])

يَا مَيَّ قُومِي فِي المَآتِمِ وَانْدِبِي فَتَى كَانَ مِمَّنْ يَبْتَنِي المَجْدَ أَرْوَعَا
وَقُولِي: أَلَا لَا يُبْعِدِ اللهُ أَرْبَدَا وَهَدّي بِهِ صَدْعَ الفُؤَادِ المُفَجّعَا
عَمِيدُ أُنَاسٍ قَدْ أَتَي الدَهْرُ دُوْنَهُ وَخَطُّوا لَهُ يَوْمَا مِنَ الأَرضِ مَضْجِعَا

وكذلك من جيد قصائده في رثاء أخيه أربد والتى جاءت متأثرة بتعاليم الإسلام وقيمه قوله من الكامل:([2])

قَضّ اللُّبَانَة لاَ أَبَا لَكَ وَاذْهَبِ وَالْحَقْ بِأُسْرَتِكَ الكِرَامِ الغُيّبِ
ذَهَبَ الذِيْنَ يُعَاشُ فِي أَكْنَافِهِمْ وَبَقَيْتُ فِي خَلْفٍ كَجِلْدِ الأَجْرَبِ
يَتَأَكَلُونَ مَغَالَةً وَخِيَانَةً وَيُعَابُ قَائِلُهُمْ وَإِنْ لَمْ يَشْغَبِ
يَا أَرْبَدَ الخَيرِ الكَرِيمَ جُدُودُهُ خَلّيْتَنِي أَمْشِي بِقَرْنٍ أَعْضَبِ
لَوْلَا الإِلَهُ وَسَعْيُ صَاحِبِ حِمْيَرٍ وَتَعَرُّضِي فِي كلِّ جَوْنٍ مُصَعَبِ
إِنَّ الرَزِيَّةَ لاَ رَزِيَةَ مِثْلُهَا فِقْدَانُ كُلِّ أَخٍ كَضَوءِ الكَوْكَبِ

---

١) ديوان لبيد ص ٩١ .
٢) الديوان ص ٣٤ .

فالقصيدة كما تبدو لنا زفرة بكائية حارة من لبيد علي فقدان أخيه أربد ، تقطرُ منها الدموع المحرقة والأحزان المتدفقة على موته، وتكشف عن مدى تفجعه بفقد أخيه ، وتظهر فيها قوة إيمان لبيد وحسن تجلده إزاء مصابه في فقد أخيه أربد.

ثم نراه يتحدث عن بعض مآثره في رد الحقوق لأصحابها مستعينًا في سبيل ذلك الأمر بحسن توكله على الله، ثم بوساطة أحد ملوك اليمن وهو صاحب حمير في رد الإبل المغتصبة إلي أصحابها ، وهكذا تختلط مشاعر الدين بنفس لبيد المفجعة والمحزونة لفقد أخيه ، وقد بلغ من قوة وأثر تلك القصيدة أن السيدة عائشة رضى الله عنها كانت تتمثل ببيت لبيد:([1])

ذَهَبَ الذّيْنَ يُعَاشُ فِي أَكْنَافِهِم وَبَقِيْتُ فِي خَلْفٍ كَجِلْدِ الأَجْرَبِ

ثم تقول – رضي الله عنها – رحم الله لبيدا إنى لأروى له ألف بيت"([2]). و قالت: كيف لو رأى لبيد خلفنا هذا!([3])

ولبيد بن ربيعة من الشعراء المُعَمّرِين الذين بلغوا من العمر أرذله، فقد قيل إنه توفي عن عمر ناهز مائة وسبع وخمسين سنة ([4]).

وطُولُ هذا العمر وامتداده جعل لبيدا ينحو في شعره منحًى وجدانيًا خاصًا به، وهو كثرة السأم والضجر من طول هذا العمر وامتداده به. ولكن على الرغم من ذلك السأم والضجر من طول العمر يأتي شعره في هذا الاتجاه في إطار من الإنضباط والالتزام الدينى نلحظ ذلك في قوله من الكامل: ([5])

---

١) ديوان لبيد ص ٣٤ .

٢) شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات ص ٥١١ .

٣) جمهرة أشعار العرب لأبي زيد القرشي تحقيق علي البجادي الناشر: نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع ص ٨٢ .

٤) الشعر والشعراء ص ٢٦٧ .

٥) ديوان لبيد ص ٤٦ .

قُضِـيَ الأُمُـورُ وَأُنْجِـزَ المَوْعُـودُ وَاللهُ رَبِّـــي مَاجِـــدٌ مَحْمُـــودُ
وَلَـهُ الفَوَاصِـلُ وَالنَوَافِـلُ وَالعُـلَا وَلَـهُ أَثِيْـثُ الخَيْـرِ وَالمَعْـدُودُ
وَلَقَـدْ بَلَـتْ إِرَمُ وَعَـادٌ كَيْـدَهُ وَلَقَـد بَلَتْـهُ بَعـدَ ذَلِـكَ ثَمُـودُ
خَلُّـوا ثِيَـابَهُم عَلَـي عَـوْرَاتِهِم فَهُـمُ بِأَفْنِيَـةِ البُيُـوتِ هُمُـوْدُ
وَلَقَد سَئِمْتُ منَ الحَيَاةِ وَطُولِهَا وَسُـؤَالِ هـذَا النَـاسِ كَيْـفَ لَبِيـدُ
وَغَنَيتُ سَبْتًا قَبْلَ مُجْرَي دَاحِسٍ لَـوْ كَـانَ للـنَفْسِ اللَّجُـوجِ خُلُـودُ

فنرى في تلك القصيدة روح الإسلام حاضرة وماثلة بنفس لبيد على الرغم من حالة الشكوى والضجر التي خيمت عليه ، وحالة السأم والضعف التي سيطرت عليه، فنراه يستهل قصيدته بحمد الله تعالي والثناء عليه، ثم يُقر بفضله الواسع وعطائه الجزيل علي العباد، وكذلك بعلوه وقدرته وإحاطته بجميع المخلوقات، ثم يشرع في الحديث عن أحوال الأمم والأقوام السابقة، وكيف أن الله تعالي قد قضي عليهم جميعا بالموت والفناء، وصاروا أثرًا وخبرًا بعد عين، فنراه يتحدث عن فناء قوم إرم وعاد وثمود الذين خلت ديارهم ومساكنهم منهم .

وفي حديث لبيد عن هذا الجانب التاريخي إنما جاء متأثرًا بحديث القرآن الكريم عن تلك الأمم والأقوام السالفة ، حيث لم يكن للعرب عهد أو معرفة بأحوال تلك الأمم أو هلاكهم قبل نزول القرآن الكريم.

ثم ينتقل لبيد بعد ذلك إلي الشكوى والسأم من طول حياته، حتى صار محل تعجب وتساؤل دائم من الناس عن حاله وعن حياته الطويلة .

مزج فيها بين حُسن وجمال التضرع والابتهال لله ﷻ وبين سرد بعض الوقائع والأحداث التاريخية للأمم البائدة ، وفيها يقول من الرجز :([1])

مَـــنْ يَبْسُـــطِ اللهُ عَلَيـــهِ إِصْـــبَعَا
بِـــالخَيْرِ وَالشَـــرِّ بِـــأَيٍ أُولِعَـــا

١) ديوان لبيد ص ٩٥ .

يَمْـــلأُ لَـــهُ مِنْـــه ذَنُوبًـــا مُتْرَعًـــا
وَقَـــدْ أَبَـــادَ إِرَمَـــا وَتُبّعًـــا
وَقَـــوْمَ لُقْمَـــانَ بـــن عَـــادٍ أَخْشَـــعَا
إِذْ صَـــارَعُوهُ فَـــأَبَي أَنْ يُصْـــرَعَا
وَالفِيْـــلَ يَـــوْمَ عُرْنَـــاتٍ كَعْكَعَـــا
إِذْ أَزْمَـــعَ العُجْـــمُ بـــهِ مَـــا أَزْمَعَـــا
نَـــادَى مُنَـــادٍ رَبَّـــهُ فَأَسْـــمَعَا
فَـــذَبّ عَـــنْ بِـــلاَدِهِ وَوَرَّعَـــا
وَحَـــابَسَ الحَاسِـــرَ وَالمُقَنَّعَـــا
وَأَفْلَـــتَ الجَـــيْشُ بِخِـــزْيٍ مُوجَعًـــا
تَمُـــجُّ أُخْـــرَاهُمْ دِمَـــاءً دُفَعًـــا
أَنْـــتَ جَعَلْـــتَ البَـــاهِلِّي مِفْنَعًـــا
فِينَـــا فَأَمْسَـــي مَاجِـــدًا مُمَنَّعًـــا
وَحَـــقٌّ مَـــنْ رَفَعْتَـــهُ أَنْ يُرْفَعَـــا
وَكَـــانَ شَـــيْخًا بَاهِلِّيًـــا أَضْـــلَعَا
لاَ يُحْسِـــنُ النَّعْـــلَ إِذَا تَشَسَّـــعَا
فَـــاليَوْمَ قَـــدْ نَـــالَ خِـــلاَلا أَرْبَعَـــا
عِـــزّا وَمَجْـــدًا وَغِنًّـــى وَمَفْزَعًـــا
فَمَـــا يَنَـــلْ فمَـــا نـــراهُ ضَـــيَّعَا

فكما نري تَطلُّ علينا من هذه الأرجوزة روح النزعة الإسلامية الصادقة، والتوجه الديني الخالص الذي ظهر ونضح على شعر لبيد، مغايرًا بذلك ما كان معتادًا ومألوفًا لدي شعراء عصره من استهلال قصائدهم بمطلع غزلى أو طللى ثم الولوج إلي مضمون القصيدة الأصيل، أما وأن يأتى المطلع بهذا

التوجه الإسلامي الخالص فإنه إن دلّ فإنما يدل علي تشبع روح لبيد الشعرية بالإسلام وسيطرته علي نفسه وشاعريته سيطرة كاملة وصادقة .

ويبين لبيد بن ربيعة في المطلع مدى سعة عطاء الله ﷻ للعبد، مستخدما في ذلك بعض الألفاظ والمفردات الإسلامية مثل (يبسط، إصبعا)، فنرى في التعبير بلفظة (إصبعا) تأثر بقول النبي ﷺ: "إِنَّ الْقُلُوبَ بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ ﷻ يُقَلِّبُهَا "(١).

ثم ينتقل بعد ذلك إلي توضيح وبيان كيف أباد الله الأمم والأقوام السابقة مثل قوم تبع، وقوم إرم، وقوم لقمان بن عاد ، وذلك بعد عنادهم واستكبارهم في الأرض وعتوهم عتوًا كبيرًا .

ثم يُعرِّج لبيد إلي الحديث عن مجئ أبرهة الحبشي بجيشه الجرار وأفياله الضخمة لهدم بيت الله الحرام، وكيف أن الله ﷻ ردّ كيدهم وأخزاهم وأهلكهم .

ونري في ذلك الأمر توظيف جيد وبارع من لبيد لاستدعاء الأحداث والوقائع الدينية والإسلامية في شعره ، مما يؤكد ذلك علي عمق وأصالة المنحى الإسلامي في شعر لبيد الذي كان صدى لبعض الحوادث والمناسبات الدينية والسلامية المجيدة .

ومن جيد أشعار لبيد بن ربيعة كذلك التى أنشاها في ظلال الإسلام الحنيف أبياتًا ألقاها بين يدي رسول الله ﷺ، وذلك حينما وفد عليه لبيد مع جماعة من قومه من بني عامر يشكون ما حلّ بهم من جدب وفقر ، ويوتسل فيها لبيد بالرسول الكريم ﷺ في أن يدعو لهم بالسقيا ونزول المطر ، وفيها يقول من الطويل :(٢)

أَتَيْنَاكَ يَا خَيْرَ البَرِيَّةِ كُلِّهَا لِتَرْحَمْنَا مِمَّا لَقِيْنَا مِنَ الأَزْلِ

---

١) : سنن ابن ماجه ابن ماجة أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي الناشر: دار إحياء الكتب العربية ٢ /٠ ١٢٦٠ .

٢) ديوان لبيد ص ١٥٠ .

أَتَيْنَـــاكَ وَالعَـــذْرَاءُ يُـــدْمَى لَبَانُهَـــا وَقَـــدْ ذَهِلَـــتْ أُمُّ الصَـــبِيِّ عَـــنِ الطِفْـــلِ
وَأَلْقَـــي تَكَنِّيـــهِ الشُـــجَاعُ اسْـــتِكَانَةً مِـــنَ الجُـــوعِ صُـــمْتًا لاَ يُمِـــرُّ وَلَا يُحْلَـــي
وَلاَ شَـيئَ مِمَّـا يَأْكُـلُ النَـاسُ عِنْـدَنَا سِوَى العِلْهِز[1] العَامِّي وَالعَبْهَر[2] الفَسْلِ
وَلَـــيسَ لنَـــا إلاّ إِلَيـــكَ فُرَارُنَـــا وَأَيـــنَ يَفِـــرُّ النَـــاسُ إِلَّا إِلَـــي الرُسْـــلِ
فَإِنْ تَدْعُ بِالسُقْيَا وَبِالعَفْوِ تُرسِلِ الـ سَـمَاءُ لَنَـا وَالأَمْـرُ يَبْقَـي عَلـي الأَصْـلِ

تُظهر لنا في تلك الأبيات مدي محبة لبيد للنبي الكريم ﷺ، وصدق الإيمان به، وحسن توسله به في الشدائد والمحن، وتؤكد كذلك علي التقاء لبيد بالنبي ﷺ ومحادثته ومصاحبته والجلوس بين يديه، مما يؤكد ذلك علي صحبة لبيد للنبي ﷺ.

وكشفت الأبيات عن مدى تضرع لبيد إلي الله ﷻ، وحسن التقرّب إليه، والتوسل إليه بنبيه ﷺ في المَلَمَّات والنوازل، حتى يكشف الله عن قومه الكرب، ويرفع عنهم البأس والجدب .

وقد بين لبيد بن ربيعة في تلك الأبيات مدي ما حلّ بقومه من قحطٍ وجدب، حتى تخلت الأم المرضعة عن ولدها بسبب الفقر والجوع وضيق العيش، وذلك في قوله: (وقد ذهلت أم الصبي عن الطفل)، ولا يخفي ما في ذلك التعبير الشعري من تأثر بقول الله تعالي: "يا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ * يَوْمَ تَرَوْنَها تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذاتِ حَمْلٍ حَمْلَها وَتَرَى النَّاسَ سُكارى وَما هُمْ بِسُكارى وَلكِنَّ عَذابَ اللَّهِ شَدِيدٌ "(3).

---

١) العِلْهِزُ: وَبَرٌ يُخْلَطُ بدماءِ الحَلَمِ كَانَتِ الْعَرَبُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ تأْكله فِي الجَدْب . لسان العرب مادة علهز .

٢) العَبْهَر: النَّرْجِسُ، وَقِيلَ: هُوَ نَبْتٌ . اللسان مادة عبهر .

٣) الآيتان ١- ٢ سورة الحج .

ثم يبين لبيد ويؤكد ألا أمل لهم ولا خلاص مما حلّ بهم من جدب وضيق إلا بالالتجاء إلي الله تعالي، والتوسل برسله الكرام، فهم سبل النجاة من مهالك الدنيا والآخرة .

وهكذا يظهر لنا من خلال تلك المقطوعة الشعرية مدي عمق الروح الإسلامية في شعر لبيد بن ربيعة ، وتغلغلها بنفسه ، ومدي إيمانه بالله تعالي ، وتمسكه بدينه ، واعتصامه وتوسله بنبيه الكريم صلي الله عليه وسلم في كل ملمة ونازلة.

وفي معلقة لبيد بن ربيعة نجد أبياتًا له تتوافق مع روح الإسلام وتعاليمه السمحة ومن ذلك قوله من الكامل:([1])

فَاقْنَعْ بِمَا قَسَمَ المَلِيْكُ فَإِنَمّا ... قَسَمَ الخَلَائِقَ بَيْنَنَا عَلَّامُهَا

فنراه يشير من خلال ذلك البيت إلي القناعة والرضا بما قسم الله تعالي بين خلقه ، فهو ﷻ العليم الحكيم، الذي قسم بين عباده معايشهم وأرزاقهم بحكمة وقدرة متناهية.

وإن كان لبيد قد أنشأ هذه المعلقة في مرحلة مبكرة قبل إسلامه، فإن ذلك الأمر يؤكد علي مدي نقاء فطرة وسلامة نفس لبيد، وحسن تدينه قبل الإسلام، الذي جاء وهذّب تلك النفس، وزادها عمقًا وصلاحًا وإيمانًا، الأمر الذي انعكس بالإيجاب والخير علي شعر لبيد بعد الإسلام فكان صورة صادقة لحسن أخلاقه، وصدق إيمانه.

وفي موطن آخر يطالعنا لبيد بأبيات شعرية تفيض وتنبض بالمعاني والأخلاق الإسلامية الحميدة ، وتحثُّ علي تقوي الله تعالي وحمده ، وفيها يخاطب زوجته معاتبًا إياها علي لومه الدائم له علي جوده وعطائه قائلًا من الطويل:([2])

---

١) ديوان لبيد ص ١٧٩ .

٢) ديوان لبيد ص ١١٩ .

تَلُـوْمُ عَلَـيّ الإهْـلَاكِ فِـي غَيْـرِ ضَـلَـةٍ وَهَلْ لِي مَا أَمْسَكْتُ إنْ كُنْتُ بَاخِلًا
رَأَيْـتُ التُّقَـي والحَمْـدَ خَيْـرَ تِجَـارَةٍ رَبَاحًـا إذَا مَـا المَـرْءُ أَصْـبَحَ ثَـاقِلًا
وَأَثْنَـوا عَلَيــهِ بِالَّـذِي كَـانَ عِنْـدَهُ وَعَـضّ عَلَيــهِ العَائِـدَاتُ الأَنَـامِلَا
فَدَع عَنْكَ هَذَا الذّي قَدْ مَضَي لِسَبِيلِهِ وَكَلِّـف نَجِـيَّ الهَـمِّ إنْ كُنْـتَ رَاحِـلًا

نرى في هذه الأبيات لبيد بن ربيعة يفتخر بجوده وكرمه وكثرة إهلاك ماله لإطعام الضيفان، مما جعل زوجته تلومه وتعاتبه على ذلك الأمر الدائم منه.

ثم يعرج بعد ذلك إلي بيان أن تقوي الله عز وجل وحمده الدائم هما خير تجارة للمرء في حياته، وهى التجارة الرابحة النافعة له بعد مماته، مشيرًا بذلك إلي أن ما يصنعه المرء في دنياه من خير وطاعة هو ما يبقي ويدوم له بعد موته، إن خيرا فخير وإن شرا فشر ، ونرى لبيدا قد تأثر في ذلك المعنى بقول الله تعالي : " إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتابَ اللَّهِ وَأَقامُوا الصَّلاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْناهُمْ سِرًّا وَعَلانِيَةً يَرْجُونَ تِجارَةً لَنْ تَبُورَ "([1]).

حتى إذا ما وصلنا إلي المحطة الأخيرة والخاتمة في حياة لبيد بن ربيعة نجد أن الإسلام قد غمر حياته، واستولى على كيانه، وهذّب روحه ووجدانه، وتشبعت نفسه وروحه بالإيمان وحسن الاستجابة والإيمان بقضاء الله وقدره .

فإذا ما استشعر لبيد دنو أجله وقرب موته نظر إلي ابنتيه فرأي في نظراتهما الخوف والفزع من الموت الذي يدنو منه، وقد تمنيا له طول بقائه معهما فخطابهما بقوله من الطويل:([2])

تَمَنَّـي ابْنَتَـاي أنْ يَعِـيشَ أَبُوهُمَـا وَهَـلْ أَنَـا إلَّا مِـنْ رَبِيعَـة أَو مُضَـرْ
وَنَائِحَتَـــانِ تَنْـــدُبَانِ بِعَاقِـــلٍ أَخَـا ثِقَـةٍ لاَ عَـيْنَ مِنْـهُ وَلَا أَثَـرْ
وَفِـي ابنَـيْ نِـزَارٍ أُسْوَةٌ إنْ جَزِعْتُمَـا وَإنْ تَسْـأَلَاهُمْ تُخْبِـرَا فِـيهِمُ الخَبَـرْ
وَفِيْمَن سِوَاهُمْ مِـنْ مُلُـوكٍ وَسُوْقَةٍ دَعَائِمُ عَرْشٍ خَانَـةُ الـدَهْرُ فَـانْقَعَر

---

١) الآية ٢٩ سورة فاطر .

٢) ديوان لبيد ص ٧٩ .

فَقُومَـا فَقُـولَا بِالَّـذِي قَـدْ عَلِمْتُمَـا وَلَا تَخْمِشَـا وَجْهًـا وَلَا تَحْلِقَـا شَـعَرْ

وَقُـوْلاَ هُـوَ المَـرْءُ الـذِي لاَ خَلِيلُـهُ أَضَاعَ ، وَلاَ خَانَ الصَدِيْقَ وَلَا غَدَرْ

إِلَي الحَوْلِ ثُمَّ اسْمُ السَلاَمِ عَلَيْكُمَا وَمَنْ يَبْكِ حَوْلًا كَامِلًا فَقَدْ اعْتَذَرْ

فـى هذه القصيدة نرى لبيدا وهو يرثي نفسه، ولكن بأسلوب خاص، يغلفه الإيمان بقضاء الله تعالي وحب لقائه، وعدم الخوف أو الجزع من الموت أو التشبث بالدنيا الفانية، فنراه يتعجب من رغبة ابنتيه في بقائه معهما بعد هذا العمر الطويل، وأنّي له ذلك وهو في عداد الخلق والناس الذين كتب الله عليهم الموت والفناء، ثم يذكرهما بأخذ العبرة والعظة من أحوال السابقين الذين قضي عليهم الله الموت ، وذلك تصبُرا وتجلُّدًا على فراقه بعد الموت .

ثم يوصيهما بالصبر الجميل بعد موته ، والرضا بقضاء الله وقدره ، وينهاهما عن السخط أو الاعتراض على قضاء الله تعالي بفعل شيئ من أفعال الجاهلية المذمومة عند الموت من خمش الوجه، وحلق الشعر حزنا على من مات .

ونراه قد تأثر في هذا المعنى الإسلامى واستدعي قول النبي ﷺ: " لَيْسَ مِنَّا مَنْ شَقَّ الْجُيُوبَ، وَضَرَبَ الْخُدُودَ، وَدَعَا بِدَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ "(١).

ويحثهما على الثناء الدائم عليه بالقول الطيب الحسن ، بما يعرفان عنه من أخلاق كريمة وشيم رفيعة، فلم يخُن ولم يغدر بأحد من أصدقائه، ثم يدعو لهما ويستودعهما الله تعالي، ويباركهما باسم الله تعالي السلام أن يحفظهما من كل شر وسوء .

والقصيدة كما نري أشبه بوصية أب مودع لبناته، حريص عليهن، ناصح لهن، واحتوت على العديد من القيم والمعانى والمبادئ الإسلامية الشريفة التى جاء الإسلام وحث عليها ودعا إليها، ما بين الإيمان الصادق الموقن بالموت، وحسن العمل والاستعداد للقاء الله، وأخذ العبرة والعظة من أحوال الأمم

---

١) سنن بن ماجة ، لأبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني ، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي الناشر: دار إحياء الكتب العربية – فيصل عيسى البابي الحلبي .١/ ٥٠٤ .

السابقة، والتعامل مع الخطوب والنوازل المفجعة بمنهج الإسلام والالتزام بمبادئه، والحث على التحلى بجميل الأخلاق وحميد الصفات التى تكون حياة أخرى للمرء بعد موته.

وبعد أن انتهي لبيد من وصيته لابنتيه اتجه إلي إن إنشاء وصية شعرية أخرى ولكنها تلك المرة موجهة إلي أهله وقرابته ، وذلك بعد أن أحسّ بدنو أجله ،فأوصي ابنا لأخيه – حيث لم يكن للبيد ولد ذكر – أوصاه بأشياء وأمور يفعلها به بعد وفاته ، وهي وصية مطولة نذكر منها قول لبيد من مجزوء الكامل : (١)

أُنْبِئْتُ أَنّ أَبَا حَنِيْ ... فِ لاَمَنِى فِي اللاّئِمِيْنَا
أبْنَيّ هَلْ أَحْسَسْتُ أَعْـ ... ـامِى بَنِي أُمِّ البَنِيْنَا
وَأَبِي الَذِي كَانَ الأَرَلْ ... مَلُ فِي الشِتّاءِ لَهُ قَطِيْنَا
وَأَبُو شُرَيْحٍ وَالمُحَا ... مِي فِي المَضِيقِ إِذَا لَقِيْنَا
مَا إِنْ رَأَيْتُ وَلَا سَمِعْـ ... ـتُ بِمِثْلِهِم فِي العَالَمِينَا
لَمْ تَبْقَ أَنْفُسُهُمْ وَكَا ... نُوا زِيْنَةً لِلْنَاظِرِيْنَا
....
ذَرْنِى وَمَا مَلَكَتْ يَمِيْ ... نِي إِنْ رَفَعْتُ بِهِ شُؤونَا
وَافْعَلْ بِمَالِكَ مَا بَدَا ... لَكَ، إِنْ مُعَانًا أَوْ مُعِيْنَا
وَاعْفِفْ عَنِ الجَارَاتِ وَامْـ ... ـنَحْ هُنّ مَيْسَرَكَ السَّمِيْنَا
وابْذُلْ سِنَامَ القِدْرِ إِ ... نّ سَوَاءَها دُهْمًا وَجُونَا
ذَا القِدر إِنْ نَضِجَتَ وَعجّـ ... ـلْ قَبْلَهُ مَا يَشْتَوِيْنَا
إِنَّ القُدُورَ لَوَاقِحٌ ... يُحْلَبْنَ أَمْثَلَ مَا رُعِيْنَا
وَإِذَا دَفَنْتَ أَبَاكَ فَاجْـ ... ـعَل فَوْقَهُ خَشَبًا وَطِيْنَا

١) ديوان لبيد ص ٢١٥ .

وَصَـــــــفَائِحَا صُـــــــمًا رَوا ... سِـــيهَا يُسَـــدِّدْنَ الغُضُـــونَا
لِيَقـــيْنَ وَجْـــهَ المَـــرْءِ سَـــفْ ... سَـــافَ التُّـــرَابِ وَلَـــنْ يَقِيْنَـــا
ثُـــــمَّ اعْتَبِـــــر بِثَنَـــــاءِ رَهْ ... طِـــكَ إِذْ ثَـــوَي جَـــدَثًا جَنِينـــا
وَتَرَاجَعُـــــوا غُبُـــــرَ المَـــــرَا ... فِـــقِ مِـــنْ أخـــيهِمْ يَائِسِـــينَا
تِلْـــــكَ المَكَـــــارِمُ إِنْ حَفِـــــظ ... تَ فَلَـــن تُـــرَي أَبَـــدًا غَبِينَـــا
فِـــي رَبْـــرَبٍ كنِعَـــاجِ صَـــا ... رَة يَبْتَئِسْـــنَ بِمَـــا لَقِيْنَـــا
مُتَسَـــــلِّبَاتٍ فِـــــي مُسُـــــو ... حِ الشِّـــعْرِ أَبْكَـــارًا وَعُونَـــا
وَحـــذِرْتُ بَعـــدَ المَـــوتِ يَـــو ... مَ تَشِـــيْنُ أَسْـــماءُ الجَبِيْنَـــا

نري لبيد بن ربيعة في بداية القصيدة يعاتب ابن أخيه (أبا حنيف) الذي كان يلوم عمه لبيد على جوده وكرمه ، وكثرة انفاق ماله علي الضيفان والمحتاجين كما كان شأن زوجته معه من قبل .

ويُذَكِّر لبيد ابن أخيه بأصوله وأهله السابقين الذين كانوا مقصدًا للفقراء والسائلين، وكانوا يتسابقون في حسن الضيافة والعطاء والجود، ويخبره أن ليس من المعقول أن يخالف منهجهم أو أن يشذ عن أخلاقهم. ويطلب منه أن يتركه على حاله ونهجه الذي ارتضاه لنفسه، وأن يتصرف هو في ماله كيفما شاء ، ثم يسديه بعض النصائح منها التعفف عن التعرض لمحارم الجيران، وأن يسير على درب آبائه وأهله في الكرم والعطاء، وأن يجعل من قِدرِه وطعامه مقصدًا لكل جائع وسائل، أو عابر سبيل.

ثم ينتقل لبيد ذلك إلي وصيته له بما عليه فعله به بعد وفاته، وذلك بأن يحسن لحده ودفنه ، وذلك بأن يضع فوق جسده المُسجّي بالتراب أخشابا وأحجارًا حتى تقيه من حصي الأرض، وأنّي له ذلك. ويوصيه كذلك بأخذ العبرة والعظة بما يقال عنه موته من ذكر طيب وسيرة حسنة ، فتلك هى المكاسب والمكارم التي ينبغي علي المرء أن يحرص عليها في حياته وبعد وفاته.

فالقصيدة كما تبدو لنا نعيا وعزاءً من لبيد بن ربيعة لنفسه، وما سيصير إليه بعد الموت، وهي قطعة أدبية عالية، تحوي العديد من المثل والفضائل الإسلامية الحميدة التي اعتنقها لبيد وآمن بها في حياته، ومما لا شك فيه أن تلك الأخلاق والخلال التي كانت متأصلة بنفس لبيد قبل إسلامه جاء الإسلام وزاد من عمقها وأصالتها، وأضفي عليها المزيد من الأصالة والجمال، حتي غدت معلمًا بارزًا من معالم ششخصية لبيد ، ودليلا واضحًا علي صدق إسلامه وحسن تدينه.

ومن الأشعار والأبيات التي تحملُ الطابع الإسلامي الخالص والتي اختُلِف في صحة نسبتها للبيد بن ربيعة، وذكرت في ذيل ديوانه منها وقوله:([1])

فَيَا عَجَبًا كَيْفَ يُعْصَي الإلَ هُ أَمْ كيَفَ يَجْحَدُهُ الجَاحِدُ

وَفِي كُلِّ شَيْئٍ لَهُ آيةٌ تَدُلُّ عَلَي أَنَّه وَاحِدُ

وَلِله فِي كُلِّ تَحْريكةٍ وَتَسْكِينَة أبَدًا شَاهِدُ

فهي أبيات كما نري – إن سلمنا بصحة نسبتها للبيد – تفيض بالقيم والمضامين الدينية والإسلامية المجيدة، حيث نراه يتعجب ويلوم الناس علي معصيتهم لله تعالي، وعلي جحودهم وإنكارهم أفضاله ونعمه عليهم ، والكون وما فيه يسبح بحمد الله تعالي ويؤمن به، ويشهد بوحدانيته وقدرته المطلقة في الكون.

ونختم هذا العرض السريع لدراسة الشعر الإسلامي في ديوان لبيد بن ربيعة بالبيت الذائع الصيت والذكر للبيد ، وإن اختلف في نسبته كذلك إليه وهو قوله :([2])

الحَمْدُ لِلهِ الذِّي لَمْ يَأْتِنِي أَجَلِي حَتَّي لَبِسْتُ مِنَ الإسْلَامِ سِرْبَالَا

---

١) ديوان لبيد ص ٢٣٢ .

٢) ديوان لبيد ص ٢٣٦ .

فانظر إلي مدي جمال وإسلامية هذا البيت الذي يبين لنا مدي امتنان لبيد بن ربيعة واعترافه بفضل الإسلام عليه، وشكره وحمده لله تعالي علي تلك النعمة والمِنَّة العظمي التي أولاه الله إياها قبل وفاته، وكيف أن الله تعالي قد زيَّن حياته بثوب الإسلام البهي الجميل ، بعد أن خلع ثوب الجاهلية المزرى المشين ، وفي تعبيره بالأسلوب المجازي في قوله (لبست من الإسلام سربالا) دلالة واضحة علي أن الإسلام قد استولي علي كيان وحياة لبيد، وهيمن علي كل شئون حياته، فصار لا يتحرك ولا يسكن إلا وفق منهج الإسلام وحسب تعاليمه الراقية السمحة.

وفي حديث لبيد عن فضل نعمة الإسلام عليه بعد هذا العمر الطويل الذي عاشه في الجاهلية والإسلام ما يؤكد علي صحة نسبة هذا البيت للبيد دون غيره.

المبحث الثاني

السمات والخصائص الفنية في شعر لبيد بن ربيعة الإسلامي

إن الدارس لشعر لبيد بن ربيعة لابد له أن يفرّق بين أمرين مهمين :

الأمر الأول: وهو شعره الجاهلي الذي أنشأه لبيد قبل الإسلام .

الأمر الآخر: وهو شعره الإسلامي الذي أنشأه في ظلال الإسلام وتحت لوائه.

حيث إن شعر لبيد في الجاهلية يختلف تمام الاختلاف عن شعره بعد الإسلام، وذلك من حيث الألفاظ والأساليب، والأغراض والمعاني، والمضامين والأفكار .

حيث كانت جُلّ أشعاره في الجاهلية تدور حول أغراض الفخر والوصف، حيث كان لبيد كثير الافتخار بنفسه وأهله وبقبيلته، وذكر مناقبهم ومآثرهم، وكان كذلك كثير الوصف للراحلة والصحراء والمطر، وذكر الديار والأحبة الظاعنين. وفي هذا الجانب من شعره نجد الإغراب والحوشية في الألفاظ والتراكيب، والحدة والعنف في المعاني والمضامين والأفكار، والتطويل في النفس الشعري والوزن العروضي ، والميل إلي القافية الصاخبة الشديدة .

إما إذا انتقلنا إلي شعره الإسلامي فإننا نري أن الإسلام وقراءته للقرآن الكريم قد صنع منه شاعرًا آخر غير ما كان عليه في الجاهلية ، حيث هذّب القرآن ألفاظه وأساليبه ، وأدخل علي معانيه وأفكاره الحلاوة والطلاوة والرقة، وسيطرت الروح الإسلامية الهادئة العذبة الرقيقة علي شعره ، حتي صار في أبهي صورة وأرقي بيان ، وظهر ذلك جليًا في شعره الإسلامي في عدة جوانب وهي :

الألفاظ والأساليب – المعاني والأفكار – الصور والأخيلة – الوزن والموسيقي.

ونفصل القول والبيان في تلك الجوانب علي النحو التالي:

أولا :

الألفاظ والأساليب

إن من أهم الأمور والأسس التي تقوم عليها صناعة العمل الأدبي الأسلوب، وهو الوعاء الذي يحمل المعني ويقدمه للمتلقين ، والثوب الجميل الذي تبرز فيه الحقائق فتحسن وتجمل ، وهو صورة الأديب ودليل شخصيته، والوثيقة الفنية علي ذات الشاعر ومدي ارتباطها بالتجربة واستغراقها فيها من عدمه"([1]).

ويتلون أسلوب الشاعر ويتشكل حسب البيئة التي يعيش فيها والظروف التي تحيط به ، فأسلوب الشاعر البدوي يختلف عن أسلوب الشاعر الحضري، وأسلوب الشاعر الجاهلي يختلف عن أسلوب الشاعر الذي أدرك الإسلام وتأثر به، والمطّلع علي شعر لبيد بن ربيعة يقف علي تلك الحقيقة بوضوح وجلاء ، فنجد أن إسلام لبيد بن ربيعة وكثرة قراءته وحفظه للقرآن الكريم قد صنع ذلك الأمر للبيد معجمًا شعريًا مختلفا ومغايرًا عما كان عليه في الجاهلية، حيث هذّب القرآن ألفاظه ، وأدخل عليها الكثير من الرقة والطلاوة، وكان له صدى كبيرا علي أساليبه ومفرداته الشعرية، التي انتقلت من الحوشية والغرابة إلي الرقة والعذوبة والوضوح.

فقد وصف ابن سلام شعر لبيد بقوله: "كان لبيد عذب المنطق، رقيق حواشي الكلام، وكان مسلما رجل صدق "([2]) .

حيث تحوّل لبيد بعد إسلامه من معجم القبيلة البدوي الخشن إلي معجم القرآن العذب الرائق الواضح القريب، ونضح إسلامه الصادق وقراءته الدائمة للقرآن الكريم علي ألفاظه ومفرداته الشعرية ، فنجد تأثره الواضح والكبير بمفردات

---

١) ينظر مناهج البحث الأدبي د سعد ظلام مطبعة أمانة بالقاهرة ص ١٧٩ .

٢) طبقات فحول الشعراء لمحمد بن سلام الجمحي

وتعبيرات القرآن الكريم ظاهرة أسلوبية حاضرة بقوة في شعره الإسلامي ، من ذلك قوله : ([1])

ألا كل شيئ ما خلا الله باطل وكل نعيم لا محالة زائل

وكل أُناسٍ سوف تدخلُ بينهم دُوَيهية تصفّرُ منها الأنامِلُ

وكل امرئ سيعلم يوما سعيه إذا كشف عنه الإله المحاصل

فنري في قول لبيد السابق تأثره بقول الله تعالي: "وَلا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلهاً آخَرَ لا إِلـهَ إِلاَّ هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ".([2]) وفي البيت الثاني نراه قد استمد معناه من قول الله تعالي: "كُلُّ نَفْسٍ ذائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنا تُرْجَعُونَ"([3]). وفي البيت الثالث تأثر بقول الله تعالي: " وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسانِ إِلاَّ مَا سَعى * وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرى"([4]).

ونجد كذلك تأثر لبيد بمفردات القرآن في قوله: ([5])

لِلهِ نَافِلَةُ الأجَلِّ الأفْضَلِ ولَهُ العُلَيَ وأَثِيثُ كلِّ مُؤثَّلِ

لاَ يستطيعُ الناسُ محوَ كِتَابِهِ أنّى ولَيسَ قَضَاؤهُ بمُبَدّلِ

سَوّي فأغلَقَ دُونَ غُرَّةِ عَرشِهِ سَبْعًا طِباقًا فَوقَ فَرْعِ المَنقَلِ

والأرضَ تَحتَهُمُ مِهَادًا رَاسِيًا ثَبَتَتْ خَوَالِقُهَا بصُمِّ الجَنْدَلِ

والمَاءُ والنّيرانُ مِنْ آيَاتِهِ فيهِنَّ مَوْعِظَةٌ لِمَنْ لمْ يَجْهَلِ

بَل كُلُّ سَعْيّك باطِلٌ إلَّا التُّقَي فإذَا انْقَضَي شيئٌ كَأنْ لمْ يُفْعَلِ

لَوْ كَانَ شيئٌ خَالِدًا لَتَوَاعَلَتْ عَصْمَاءُ مُؤلِفَةٌ ضَواحيَ مَأْسَلِ

---

١) ديوان لبيد ص ١٣٢ .

٢) الآية ٨٨ سورة القصص .

٣) الآية ٣٥ سورة الأنبياء .

٤) الآيتان ٣٩ / ٤٠ سورة النجم .

٥) ديوان لبيد ص ١٢٦ .

نري في الأبيات السابقة تأثر لبيد الواضح بقول الله تعالي :" وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتاباً "([1]). وكذلك قوله تعالي: "وَكانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَراً مَقْدُوراً "([2]) .

وكذلك في قول لبيد (سوي فأغلق، سبعًا طباقًا، مهادًا راسيات) تأثر واضح بمفردات وتعبيرات القرآن الكريم .

وفي قول لبيد (أنّي وليس قضاؤه بمبدل) مستمد من قول الله تعالي: "مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَما أَنَا بِظَلاَّمٍ لِلْعَبِيدِ"([3]).

وفي قول لبيد في رثاء أخيه أربد :

وما الناس إلا عاملان: فعاملٌ يُتبّرُ ما يبن ، وآخر رافعُ

فمنهم سعيد آخذ لنصيبه ومنهم شقي بالمعيشة قانعُ

تأثر بقول الله تعالي: "يَوْمَ يَأْتِ لا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلاَّ بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ "([4]).

ونري في قول لبيد كذلك:([5])

وإن هوان الجار للجار مؤلم وفاقرة تأوي إليها الفواقر

فأصبحتَ أنيّ تأتها تبتئس بها كلا مركبيها تحت رجليك شاجر

تأثر بقول الله تعالي "تَظُنُّ أَنْ يُفْعَلَ بِها فاقِرَةٌ "([6]). وقول الله ﷻ: "وَلَمَّا دَخَلُوا عَلى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَخاهُ قالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلا تَبْتَئِسْ بِما كانُوا يَعْمَلُونَ"([7]).

إذا فالمعجم القرآني حاضر وواضح في شعر لبيد الإسلامي بنسبة عالية وواضحة.

---

١) الآية ٢٩ سورة النبأ .

٢) من الآية ٣٨ سورة الأحزاب .

٣) الآية ٢٩ سورة ق .

٤) الآية ١٠٥ سورة هود .

٥) ديوان لبيد ص ٦٥ .

٦) الآية ٢٥ سورة القيامة .

٧) الآية ٦٩ سورة يوسف .

ونري كذلك تأثر لبيد ببعض المفردات والتعبيرات النبوية الشريفة من أقوال رسول الله ﷺ، ومن ذلك قوله :([1])

مـــن يبســـط الله عليـــه إصـــبعا

بـــالخير والشـــر بـــأي أُولعـــا

يمـــلأ لـــه مـــن ذنوبـــه مترعًـــا

نجد أن لبيدا قد في هذا المعني بقول النبي ﷺ: " قُلُوبَ بَنِي آدَمَ كُلَّهَا بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ، كَقَلْبٍ وَاحِدٍ، يُصَرِّفُهُ حَيْثُ يَشَاءُ " ([2]).

ويتميز معجم لبيد الشعري كذلك بكثرة وجود الألفاظ والمفردات الدالة والمتعلقة بالموت ، والبعث ، والحساب ، والجنة والنار .

ونلحظ كذلك في شعر لبيد الإسلامي ورود أسماء الأمم والأقوام البائدة، مثل (إرم، وعاد، وتبع، وثمود، وقوم لقمان، وأصحاب الفيل) والتي كان يستعين بذكرها في شعره لأخذ العبرة والعظة بمصائرهم وأحوالهم .

أما عن الأساليب التي استعان بها لبيد في شعره الإسلامي فقد جاءت متسمة بالوضوح واللين والقرب، مغايرة بذلك ما كانت عليه أساليبه في شعره الجاهلي من غرابة ووحشية وإبهام .

وظهر جمال الأسلوب ووضوحه في شعر لبيد من خلال استخدامه للكلمات اللينة الحساسة ذات البريق والقدرة علي التوظيف، ولفت النظر والانتباه، حيث كان لبيد دقيقا في اختيار الكلمات والألفاظ المعبرة والقادرة علي نقل وتصوير الفكرة التي يعبر عنها.

وتتميز أساليبه عامة بالقرب والوضوح، علي أساليبه الجاهلية التي كانت تتطلب البحث والتنقيب عن معانيها ودلالاتها في المعاجم وكتب اللغة، فكانت

---

١) ديوان لبيد ص ٩٥ .

٢) المسند الصحيح للإمام مسلم بن الحجاج النيسابوري تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت ٤ / ٢٠٤٥ .

أساليبه في شعره الإسلامي واضحة ومباشرة ، يعمد من خلالها إلي التعبير عن الفكرة والمعني بأقرب طريق وأيسر أسلوب .

ويكثر في شعر لبيد الإسلامي استخدامه لأسلوب التفريع الاستطرادي وهو "أن يقصد الشاعر وصفا ما ثم يفرع منه وصفا آخر يزيد الموصوف توكيدا".([1])

ويظهر ذلك في قول لبيد:([2])

وَمَـا النَـاسُ إِلّا كَالـدِيَارِ وَأَهْلَهَـا بِهَـا يَـوْمَ حَلُّوهـا وَغَـدْوًا بَلَاقِـعُ

وَمَا المَرْءُ إِلَّا كَالشِـهَابِ وَضَوئِهِ يَحُـورُ رَمَـادًا إِذْ هُـوَ سَـاطِعُ

وَمَا البِرُّ إِلَّا مُضْمَرَاتٌ مِنَ التُقَى وَمَـا المَـالُ إِلَّا مُعْمَـرَاتٌ وَدَائِـعُ

وَمَـا المَـالُ وَالأَهْلُـونَ إِلاَّ وَدِيْعَـةٌ وَلَا بُـدَّ يَوْمًـا أَنْ تُـرَدَّ الوَدَائِـعُ

وكان لبيد يعتمد كثيرا في شعره الإسلامي علي الأسلوب الخبري أكثر من اعتماده على الأساليب الإنشائية ، وذلك ما يتميز به شعره الإسلامي من الميل إلي جانب الحكمة والعظة ، وهذا الاتجاه يغلب فيه الأسلوب الخبري التقريري المباشر ، نري ذلك في مثل قوله :

إِنَّ تَقْـوَي رَبِّنَـا خَيْـرُ نَفَـلْ وَبِـإِذْنِ اللهِ رَيْثِـي وَعَجَـلْ

أَحْمَـدُ اللهَ فَـلَا نِـدَّ لَـهُ بِيَدَيـهِ الخَيْـرُ مَـا شَـاءَ فَعَـلْ

مَـنْ هَـدَاهُ سُـبُلَ الخَيْـرِ اهْتَـدَى نَـاعِمَ البَـالِ وَمَـنْ شَـاءَ أَضَـلْ

ونحلظ كذلك في شعره إيراد الأسلوب القصصي البليغ، الذي يعمد من خلاله لبيد إلي عرض وقص الأحداث التاريخية المرتبطة بالوقائع والأحداث الدينية والإسلامية المختلفة، من ذلك عرضه لقصة أصحاب الفيل في قوله:([3])

---

١) العمدة في محاسن الشعر وآدابه لأبي علي الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد الناشر: دار الجيل الطبعة: الخامسة، ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م - ٢ / ٤٢ .

٢) ديوان لبيد ص ٨٨ .

٣) ديوان لبيد ص ٩٥ .

وَالفِيْـــلَ يَـــوْمَ عُرْنَـــاتٍ كَعْكَعَـــا
إِذْ أَزْمَـــعَ العُجْـــمُ بـــهِ مَـــا أَزْمَعَـــا
نَـــادَى مُنَـــادٍ رَبَّـــهُ فَأَسْـــمَعَا
فَـــذَبّ عَـــنْ بِـــلاَدِهِ وَوَرَّعَـــا
وَحَـــابَسَ الحَاسِـــرَ وَالمُقَنَّعَـــا
وَأَفْلَـــتَ الجَـــيْشُ بِخِـــزْيٍ مُوجَعًـــا
تَمُـــجُّ أُخْـــرَاهُمْ دِمَـــاءً دُفَعًـــا
أَنْـــتَ جَعَلْـــتَ البَـــاهِلِّي مِفْنَعًـــا
فِينَـــا فَأَمْسَـــي مَاجِـــدًا مُمَنَّعًـــا
وَحَـــقٌّ مَـــنْ رَفَعْتَـــهُ أَنْ يُرْفَعَـــا
وَكَـــانَ شَـــيْخًا بَاهِلِّيًـــا أَضْـــلَعَا
لاَ يُحْسِـــنُ النَّعْـــلَ إِذَا تَشَسَّـــعَا
فَـــاليَوْمَ قَـــدْ نَـــالَ خِـــلاَلا أَرْبَعَـــا
عِـــزّا وَمَجْـــدًا وَغِنًّـــى وَمَفْزَعًـــا
فَمَـــا يَنَـــلْ فمَـــا نـــراهُ ضَـــيَّعَا

ومن الأساليب كذلك المطّردة في شعر لبيد الإسلامي كثرة الاقتباس أو التناص مع آيات القرآن الكريم ونصوصه الشريفة ، وهو أمر طبعي ومعتاد في مثل ذلك الاتجاه الشعري ، وقد مرت بنا العديد من تلك الأشعار والأبيات التي ظهر فيها أثر القرآن الكريم واضحا في شعر لبيد مما لا داعي لذكرها أو إيرادها هنا مرة أخري .

ثانيا :المعاني والأفكار

إن للمعاني قيمة عظيمة في كل عمل أدبي ، وإصابة المعني تعني البلاغة ، حتى قيل " البلاغة هي إصابة المعني وإدراك الغرض بألفاظ سهلة عذبة مستعملة، سليمة من التكلف لا تبلغ الهذر الزائد على قدر الحاجة، ولا تنقص نقصاناً يقف دون الغاية،" ([1]).

والناظر في شعر لبيد بن ربيعة يري أن الإسلام قد وسّع من دائرة القول والإبداع لديه ، وفتح له طاقات ومساحات أوسع وأرحب مما كان عليه شعره في الجاهلية.

حيث كان شعر لبيد في الجاهلية يدور حول ذات المعاني والأفكار والأغراض التي كان يدور حولها معظم شعراء عصره، من وصف، وفخر، وهجاء، ورثاء، ووقوف علي الأطلال، ومدح للأجواد، وكان يوصف شعره في تلك الحقبة الجاهلية بالخشونة والإغراب في الألفاظ والمعاني، مما جعل أبو عمرو بن العلاء يصف شعره بأنه رحي بزر([2]) "يقصد بذلك أنه خشن وعر، لا يحسن في السمع.

أما إذا انتقلنا إلي شعره الذي أنشده بعد الإسلام نجد التحول الكبير في شعر لبيد بن ربيعة ، وذلك من التدين الفطري الذي كان عليه في الجاهلية ، وظهر في بعض أشعاره الجاهلية إلي التدين الإسلامي الصحيح بفضل اعتناقه الإسلام، وظهر ذلك التحول الفكري والعقدي في شعر لبيد بسلاسة ولين، دون أن يمُرَّ بأية أزمة أو عقدة في هذا التحول الفكري والعقدي الكبير في حياته، والذي لم يسلم منه كبار الشعراء المخضرمين أمثال حسان بن ثابت وكعب بن زهير وأبو خراش وغيرهم ، وكان هذا التحول الهادئ عند لبيد مرجعه إلي

---

١) الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري لأبي القاسم الحسن بن بشر الآمدي تحقيق/ السيد أحمد صقر

الناشر: دار المعارف – الطبعة الرابعة [سلسلة ذخائر العرب . ١ / ٤٢٤ .

٢) ينظر الموشح للمرزباني ص ٨٤ .

تدينه الفطري في الجاهلية، ثم جاء الإسلام وعمّق وهذّب هذا التدين في نفس لبيد بيسر ولين، بما نضح علي شعره الإسلامي بعذوبة الأساليب ورقتها، وسمو المعاني وشرفها. مما جعل عمرو بن العلاء نفسه يقول عن لبيد بعد قوله السابق: "ما أحب إلي شعرًا من لبيد بن ربيعة لذكره الله ﷻ ولإسلامه، ولذكره الدين والخير"(١). وقال عنه بن سلام: " كان لبيد عذب المنطق، رقيق الحواشي ، وكان مسلما رجل صدق"(٢).

والناظر في المعاني والأفكار التي دار حولها شعر لبيد الإسلامي يري أن غالبيتها تدور حول الحث علي تقوي الله ﷻ، والتزود بالصالحات والطاعات، والثناء علي الله تعالي بما هو أهله ، والإكثار من الحديث عن الموت وما يتعلق به من آيات وأسرار، والتأكيد علي حقيقة بقاء الله تعالي وحده، وهلاك وفناء كل ما سواه، والحديث عن الآخرة وما يتعلق بها من حساب وجزاء، وجنة ونار.

وفي التأكيد علي فكرة الموت يتطرق لبيد في شعره كثيرا إلي إيراد وذكر أحوال الأمم والأقوام السابقة وما جري لهم من فناء وهلاك ، بعد علوهم وتجبرهم في الأرض.

وهو في حديثه عن الدنيا والآخرة، وعن الحياة والموت نراه يخلص من ذلك إلي الحديث عن حاله المضطّرب بين الدارين (الدنيا والآخرة) وتوسطه بين الأمرين، بعدما بلغ من الكبر عتيًا، فنراه يشكو ويسأم كثيرًا من طول العمر وامتداد الحياة به ، فنراه يصور سأمه الدائم من ثقل الحياة وطول العمر في قوله:(٣)

ولقد سئمت من الحياة وطولها وسؤال هذا الناس كيف لبيدُ

---

١) السابق نفس الصفحة .

٢) طبقات فحول الشعراء لمحمد بن سلام الجمحي ص ١٣٥ .

٣) ديوان لبيد ص ٤٦ .

وغنيتُ سبتًا قبل مجري داحس ... لـو كـان للـنفس اللجـوج خلـودُ
وشـهدتُ أنجيـة الأفاقـة عاليًـا ... كعبـي، وأرداف الملـوك شـهودُ
وأبـوك بُسـرُ لا يفنّـدُ عمـرهُ ... وإلـي بلـي مـا يُـرجعنّ جديـدُ
غلـب العزاءُ وكنـتُ غير مغلِّب ... دهـرٌ طويـل دائـمٌ ممـدودُ
يـومٌ إذا يـأتي علـيّ وليلـة ... وكلاهمـا بعـد المضـاء يعـودُ
وأراه يـأتي مثـل يـوم لقيتـهُ ... لـم ينصرم وضعفتُ وهو شديدُ

وتظهر في شعر لبيد من حين لآخر نزعة تأمل نفسي وتعمق روحي للنفس البشرية وما يعتريها من أحوال وخلال، نتامل ذلك في قوله:([1])

هل النفسُ إلا متعة مستعارة ... تُعارُ فتأتي ربها فرط أشهر

وفي موطن آخر نراه يقول:([2])

وأكـذب الـنفسَ إذا حـدثتها ... إنّ صدق الـنفس يـزري بالأمـل
غيـر أن لا تكـذبها فـي التقـي ... واخزُهـا بـالبر لله الأجـل

وهو في حديثه عن الموت نراه لا يتهيبُ الموت ولا يجزع منه، بل نراه يؤمن به وبسطوته علي جميع الأحياء ، ويترقب موعد قدومه إليه، نلحظ ذلك في قوله:([3])

تمنَّي ابنتاي أن يعيش أبوهما ... وهل أنا إلا من ربيعة أو مضرْ

وهكذا بدت المعاني والأفكار الجديدة والطريفة في شعر لبيد بن ربيعة متوافقة ومتناسبة مع منهج الإسلام وقيمه السمحة التى أُشربت بها نفس لبيد، وتعمقت في ذاته وروحه، حتى صار لا ينطق إلا بما يتوافق مع منهج الدين الإسلامي ورسالته السمحة السامية.

---

١) ديوان لبيد ص ٧٢ .
٢) ديوان ص ١٤١ .
٣) ديوان لبيد ص ٧٩ .

ثالثا : الصور والأخيلة

مما لا شك فيه أن للخيال والتصوير دور كبير وفعال في إثارة العواطف والمشاعر، وبه يتفاضلُ شاعر عن آخر، حيث إن الخيال هو الذي يهِبُ العمل الأدبي رشاقته وحسنه، ويميز بينه وبين غيره من سائر الأعمال والأقوال غير الأدبية.

والشاعر البارع الجيد هو الذي "يتناول المعاني والأفكار تناولا فنيًا ملموسًا، ويسمو بها علي أجنحة الخيال الرفافة إلي معارجه الفنية المبدعة، ويصعد بها علي رفيف تشبيهاته ومجازاته، وكناياته إلي مرافئه المجنحة العصماء، فيعرضها في أحسن صورة، ويلبسها فاتن شفوفه ، ويخلع عليها صوره الحالية الموشاه"([1]).

والتصوير هو أحد الوسائل الفنية المستخدمة في القصيدة، وهو يتكون من مجموعة من العناصر المتباينة، والجزئيات المختلفة التي تتآزر لتخرج في النهاية قدرة تعبيرية عن موقف ما.

والتصوير والخيال في شعر لبيد بن ربيعة لا يسير علي نسق واحد، وإنما جاء ذلك الأمر مختلفًا باختلاف وطبيعة كل عصر عاشه لبيد، فالصور والأخيلة في شعر لبيد الجاهلي المستمدة من عالم البداوة والصحراء تختلف تمام الإختلاف عن صوره وأخيلته في ظلال الإسلام وتحت لوائه، تلك الصور والأخيلة الجديدة المستمدة من وحي الدين الجديد ، ورحيق القرآن الكريم العذب ، وهدي السنة النبوية المباركة .

فمن الصور الفنية والخيالية البديعة الرائقة التي اعتمد عليها لبيد نراها في قوله:([2])

وما الناس إلا كالديار وأهلها بها يوم حلُّوها وغدوًا بلاقعُ

---

١) ينظر مناهج البحث الأدبي د سعد ظلام ص ١٣٧ .

٢) ديوان لبيد ص ٨٨ .

وما المرء إلا كالشهاب وضوئهِ يحورُ رمادًا إذ هو ساطعُ

نراه في قوله السابق قد شبه وجود الناس في الدنيا وارتحالهم عنها بالديار التي تعمرُ حِينًا من الزمن بأهلها ، ثم تخلو حينا آخر منهم وتصير أطلالا بالية .

ثم ينتقل في البيت الثاني من تشبيه الجماعة إلي تشبيه الفرد، حي شبه وجود المرء في الدنيا وإشراقه فيها حينا من الدهر ثم ذبوله وفنائه بعد ذلك بالشهاب الساطع المضيئ برهة ثم يخبو وينطفئ ويصير إلي رماد.

فالصورة كما تبدو لنا لوحة فنية معبرة، مستوحاة من البيئة البدوية القديمة التي كان يعتمد عليها لبيد في تكوين صوره ولوحاته الفنية الدقيقة للتعبير عن أفكاره ومعانيه، وعلي الرغم من بداوة الصورة في قوله السابق إلا أنها جاءت مؤكدة علي حقيقة دينية وإسلامية ثابتة وهي فناء جميع الخلائق بلا استثناء.

ونري لبيدا في قوله السابق يعمد إلي تصوير الديار والمنازل الساكنة الصامتة ثم يضفي بفنه حركة وحيوية علي تلك الديار والمنازل الصامتة فيحيلها إلي كائن حي يطربُ ويتراقص فرحا وسرورا ساعة حلول الأهل والناس بها ، ثم تشجو أسي وحزنا ساعة فراق وارتحال الأحبة عنها .

ومن الصور الخيالية المعبرة كذلك في شعر لبيد صورة الكناية في قوله:([1])

من يبسط الله عليه إصبعا

بالخير والشر بأي أُولعا

يملأ له من ذنوبه مترعًا

حيث كنّي في قوله السابق عن مدي حفظ الله تعالي وكلاءته لمن يبسط عليه رداء رحمته وعظيم كرمه ، وسعة عطائه حتى لا يفتقر لأحد سواه .

ومن الصور الفنية البارعة كذلك في شعر لبيد أسلوب التشخيص والتجسيد الفني ، وذلك من خلال قوله :([2])

---

١) ديوان لبيد ص ٩٥ .

٢) ديوان لبيد ص ١٤١ .

وأكــذب الــنفسَ إذا حــدثتها إنّ صدق النفس يزري بالأمل
غيـر أن لا تكـذبها فـي التقـي واخزُهـــا بـــالبر لله الأجـــل

حيث نقل النفس البشرية من صورتها المعنوية المخفية إلي صورة حسية مادية مشاهدة وملموسة ، تُحاورُ وتُخاطب من صاحبها بالقول والحوار .

ومن أبلغ وأمتع الصور والأخيلة في شعر لبيد الإسلامي صورة الاستعارة في قوله الشهير:([1])

الحمد لله الذي لم يأتني أجلي ... حتي لبست من الإسلام سربالا

فنري في هذا البيت جمال الاستعارة البديعة وذلك في تشبيهه الإسلام الحنيف بالحُلَلِ الواقية الجميلة التي تُزينُ صاحبها وتقيه من كل سوء وشر في الدنيا والآخرة .

وقد دلّ هذا الأسلوب البليغ علي سيطرة الإسلام علي لبيد بن ربيعة، وهيمنته علي كل شئون وحركات حياته كافة، فصار لا ينطق ولا يتحرك ولا يتعامل إلا وفق منهج الإسلام الشريف وشرعه السمح الحنيف .

ومن الصور الفنية البليغة المعبرة كذلك في شعر لبيد الإسلامي والتي رسم من خلالها لوحة فنية بارعة أشبه بالمنولوج النفسي والداخلي بين لبيد ونفسه وذلك من خلال حديثه عن قضية الموت وذلك في قوله :([2])

تَمَنَّــي ابْنَتَــاي أنْ يَعِـيشَ أَبُوهُمَــا وَهَـلْ أَنَـا إِلَّا مِـنْ رَبِيعَـةَ أَو مُضَـرْ
وَنَائِحَتَـــانِ تَنْـــدُبَانِ بِعَاقِـــلٍ أَخَــا ثِقَــةٍ لاَ عَـيْنَ مِنْــهُ وَلَا أَثَـرْ
وَفِـي ابنَـيْ نِـزَارٍ أُسْوَةٌ إِنْ جَزِعْتُمَـا وَإِنْ تَسْـأَلَاهُمْ تُخْبَـرَا فِـيهِمُ الخَبَـرْ
وَفِـيْمَن سِوَاهُمْ مِـنْ مُلُـوكٍ وَسُـوْقَةٍ دَعَائِمُ عَرْشٍ خَانَـةُ الـدَهْرُ فَـانْقَعَر
فَقُومَـا فَقُـولَا بِالَـذِي قَـدْ عَلِمْتُمَـا وَلَا تَخْمِشَـا وَجْهًـا وَلَا تَحْلِقَـا شَـعَرْ
وَقُـوْلاَ هُـوَ المَـرْءُ الـذِي لاَ خَلِيَلُـهُ أَضَاعَ ، وَلاَ خَانَ الصَدِيْقَ وَلَا غَدَرْ

---

١) ديوان لبيد ص ٢٣٦ .

٢) يوان لبيد ص ٧٩ .

إِلَي الحَوْلِ ثُمَّ اسْمُ السَلاَمِ عَلَيْكُمَا وَمَنْ يَبْكِ حَوْلًا كَامِلًا فَقَدْ اعْتَذَرْ

ففي هذه الصورة البليغة يكشف لبيد عن مدي إيمانه بالموت وحسن استعداده له، ولكنه يفاجئُ بأن ابنتيه لا تتوقعان هذا الأمر لأبيهما ويستبعدان حدوثه له، فيظهر الصراع النفسي بين رغبة بناته في بقاء والدهما في الحياة وبين ترقب الوالد المؤمن الموت وانتظاره دون خوف أو فزع .

ولعل من الأسباب التي دفعت لبيد إلي الإكثار من ذكر الموت في شعره والحديث عنه باستطراد دائم رغبته في أن يقرب ذلك الأمر أمام ابنتيه ، حى يؤمِنَّ بتلك الحقيقة ولا يجزعن منها.

وهو في سبيل تقريب حقيقة الموت لابنتيه نراه يُهونُ من نفسه وحياته، فيشير إلي أنه ليس بأعز علي الله من تلك القبائل والأمم والأقوام التي هلكت عن بكرة أبيها من قبله ، ثم يوجه ابنتيه إلي ما يجب عليهما أن يصنعاه بعد موته من الصبر والإيمان بالموت ، وعدم الجزع أو السخط علي أمر الله تعالي بفعل أمر من أمور الجاهلية المذمومة المرفوضة.

وعليهما كذلك أن يُحيِيَا ذكراه بعد موته بالقول الحسن والثناء الطيب عليه وذلك بذكر حميد الخصال وكرم الأخلاق والشمائل التي عاش وعرف بها في حياته.

ثم يختتم لبيد هذا المشهد الفني البارع بالدعاء الذي يحمل في طياته عاطفة الأب الحنون تجاه ابنتيه ومودته الصادقة لهما.

وهكذا تتآزر عناصر وجزئيات تلك اللوحة الفنية لتخرج لنا عملًا فنيًا ذا أبعادٍ ومرامٍ متكاملة، بعد أن حقّق الشاعر في هذه القصيدة الوحدة الفنية ، ووحدة المخزي والموقف، ووحدة الجو النفسي بينه وبين ابنتيه في براعة واتقان فني بديع.

العاطفة

حينما نعلم أنَّ لبيد بن ربيعة قد وفدَ مبكرًا علي رسول الله ﷺ وأسلم وحسُنَ إسلامه، ونظمّ هذا القدر الكبير من الشعر الإسلامي في العديد من الموضوعات الإسلامية المجيدة والمتنوعة ما بين الإيمان بالله تعالي، والإيمان بالقضاء والقدر وبالموت، والثناء علي الرسول الكريم، والإيمان باليوم الآخر وحسن السعي له، وغير تلك الموضوعات والمعاني الإسلامية المجيدة يتبين لنا بوضوح صدق وقوة عاطفة لبيد بن ربيعة فيما نظم وأنشأ من شعر إسلامي.

يتبين لنا هذا الصدق ويتضح بجلاء من خلال البيت الذي استند إليه القائلون بأن لبيد لم يقل في الإسلام غيره وهو قوله :

الحمد لله الذي لم يأتني أجلي .... حتي لبست من الإسلام سربالًا

فشاعر مثل لبيد جعل من إسلامه لباسًا وثيابًا يتدثّرُ ويتسترُ به في الحياة حرِيٌ بشعره الإسلامي الذي أبدعه في إسلامه أن يأتي متسمًا بالصدق العاطفي فيما نظم من قضايا وموضوعات .

ويتجلي الصدق العاطفي بقوة ووضوح في شعر لبيد الذي نظمه في رثاء أخيه أربد ، وقد احتوى هذا الغرض علي النصيب الأكبر من ديوان لبيد بن ربيعة، وجاء شعر لبيد فيه متسمًا بالحرارة والقوة ، وذلك لما كان لأخيه أربد من منزلة ومكانة خاصة في حياته ظهرت بعد ذلك في شعره .

وهذه العاطفة لم تكن علي درجة واحدة من القوة والصدق في شعر لبيد، خاصة فيما نظم من شعر إسلامي أقرب إلي الحكم والمواعظ ، حيث خفتت فيه العاطفة وضعفت بعض الشئ نلحظ ذلك في قول لبيد:

وَمَا المَالُ وَالأَهْلُونَ إلاَّ وَدِيْعَةٌ ... وَلَا بُدَّ يَوْمًا أَنْ تُرَدَّ الوَدَائِعُ

وَيَمْضُونَ أَرْسَالًا وَنَخْلُفُ بَعْدَهُم ... كَمَا ضَمَّ أُخْرَى التَالِيَاتِ المَشَايِعُ

وَمَا النَاسُ إلاَّ عَامِلَانِ: فَعَامِلٌ ... يُتبّرُ مَا يَبْنِي، وَآخَرُ رَافِعُ

ونلحظ كذلك في شعر لبيد الذي خاطب به رسول الله ﷺ الذي استفتحه بقوله:

أَتَيْنَاكَ يَا خَيْرَ البَرّيةِ كُلِّهَا ... لِتَرْحَمْنَا مِمّا لَقِيْنَا مِنَ الأَزْلِ

نلحظ فيه غياب العاطفة القوية التي كان ينبغي أن يتسم بها شعر لبيد وهو في حضرة رسول الله ﷺ، حيث حرص لبيد واهتم بإظهار مدي ما تعرض له قومه من قحط وجدب في حين لم نر في تلك الأبيات الروح الدينية العالية التي كان ينبغي أن تظهر علي شعر لبيد وتنعكس علي ذكر بعض الشمائل والفضائل للرسول الكريم ﷺ.

رابعا : الوزن والموسيقي

إن القارئ والتصفح لديوان لبيد بن ربيعة يري أنه قد اشتمل علي أغلب بحور وأوزان الشعر العربي، وجاء الديوان في مجموعه حافلًا بالأنماط الموسيقية التي حفل وتغني بها شعراء عصره .

وجاءت أغلب قصائد لبيد الشعرية علي بحور (الطويل، والكامل، والبسيط، والوافر، والرجز، والخفيف، والرمل، والسريع، والمنسرح) وهذه الأبحر الشعرية موجودة بكثرة في دواوين الشعراء الجاهليين والإسلاميين مع اختلاف قليل أو كثير، حيث كانت هناك قوالب تعبيرية كانوا يصوغون فيها مشاعرهم، وإيقاعات موسيقية يعزفون عليها عواطفهم وأهازيجهم .

ويتميز شعر لبيد بصورة عامة الجاهلي والإسلامي منه بعدة ظواهر وسمات موسيقية نذكر منها ما يلي:

** تنوع البحور والقوالب الموسيقية التي كان يصوغ عليها لبيد شعره ، وقدرته علي التصرف في شتي فنون الشعر ، فهو كما ذكر سابقا كان ينشد في معظم البحور والأوزان التي كان كان ينشد عليها شعراء عصره ، ولم يكن من أولئك الشعراء الذين يحصرون أنفسهم وشعرهم في قوالب وأوزان شعرية خاصة ومعينة ، لا يتجاوزونها إلي غيرها ، كما كان شأن امرئ القيس وغيره من الشعراء الذين كانوا لا يخرجون عن أوزان خاصة لا يتجاوزنوها إلي غيرها.

** تراوح درجة النفس الشعري عند لبيد بين الطول والقصر ، فلم يك شعره علي وتيرة واحدة في هذا الأمر ، فكان يختلف في ذلك تبعا لاختلاف العصر والحال، فنري قصائده في الجاهلية يغلب عليها طول النفس الشعري، يظهر ذلك في معلقته الشهيرة التي أنشأها قبل إسلامه، والتي تقترب من التسعين بيتا، وكذلك قصائده في الجاهلية التي أنشدها في الفخر بمآثر وفضائل قومه وأهله، والزهو بهم، وكذلك قصائده التى قالها في وصف البيئة الصحراوية والبدوية.

وذلك بخلاف شعره الإسلامي الذي كان يتسم بمحدودية عدد الأبيات وقلتها، قياسا بشعره الجاهلي ، وكثير من شعره الإسلامي ما كان دون السبعة أبيات، ولم يصل إلي درجة ومسمى القصيدة ، وهذا الاتجاه كثير في شعر لبيد خاصة شعره في رثاء أخيه أربد الذي أنشده بعد إسلامه.

** كثرة ورود فن الاراجيز في ديوان لبيد بن ربيعة، وهي تلك القصائد المطورة التي تأتي علي وزن بحر الرجز، مثل أرجوزته التي أنشدها أمام عمر بن اخطاب – ﷺ – والتي مطلعها (١)

من يبسط الله عليه إصبعا

بالخير والشر بأي أولعا

يملأ له منه ذنوبا مترعا

.....

** كثرة إيراد المقطعات في شعر لبيد بن ربيعة، وهي تلك الأبيات التى دون السبعة أبيات وفوق الثلاثة وتسمي بالقطعة. ومن نماذج ذلك اللون في شعره قوله حينما وفد علي النبي ﷺ: (٢)

أتيناك يا خير البرية كلها لترحمنا ما لقينا من الأزْلِ

أتيناك والعذراء يدمى لبانها وقد ذَهلت أم الصبي عن الطفلِ

وألقي تكنيه الشجاع استكانة من الجوع صمتًا لا يمرُّ ولا يحلي

ولا شيئ مما يأكل الناس عندنا سوى العِلْهز العامي والعبهرالفسل

وليس لنا لا إليك فرارنا وأين يفرُّ الناس إلا إلي الرسلِ

فإن تدع بالسقيا وبالعفو ترسل الـ سماء لنا والأمرُ يبقي علي الأصلِ

---

١) الديوان ص ٩٥ .

٢) الديوان ص ١٥٠ .

ومن شعر المقطعات كذلك عند لبيد بن ربيعة النتفة وهي ما تتكون من ثلاثة أبيات ، ومن نماذجها في شعره الإسلامي قوله :([1])

فيا عجبًا كيف يعصي الإل أم كيف يجحده الجاحدُ

وفي كل شيئ له آية تدل علي أنه واحدُ

ولله في كل تحريكة وتسكينة أبدًا شاهدُ

ومنها كذلك البيت اليتيم ، ومن صوره في شهر لبيد بيته الشهير : ([2])

الحمد لله الذي لم يأتني أجلي ... حتى لبستُ من الإسلام سربالا

وهذه الظاهرة العروضية وإن لم تُحمد عند النقاد ، ذلك لأن الشاعر الكبير في نظرهم هو الذي يبتعد ما أمكن عما دون القصيدة ، إلا أنها قد تكون قد ظهرت في شعر لبيد في مرحلة متأخرة في حياته ، بعدما انشغل عن الشعر بعض الشيئ بالإسلام وبقراءة القرآن ، وإن لم يمتنع عنه كلية ، ولكن نَفَسه الشعري قد وهن وضعف وهدأ عما كان عليه في الجاهلية من تدفق وغزارة وتطويل في الإنشاد و كثرة الإبداع .

** وفي جانب القافية في شعر لبيد الإسلامي نجد أنها تختلف عن صورة القافية في شعره الجاهلي ، حيث كانت قافية أشعاره بعد الإسلام يغلب عليها اختيار الأحرف ذات الإيقاع الهادئ الرقيق ، علي عكس ما كان ظاهرا في أحرف قوافيه الجاهلية التي كانت تتسم بالصخب والشدة ، كما هو موجود في قصائد الفخر والوصف الجاهلي عنده.

ذلك لأن " الشعر قد يناسبه أحيانا حروف وكلمات فخمة قوية ، وقد يناسبه حروف وكمات لينة رخوة، وما يناسب الشعر الهدوء والرقة كشعر الغزل، وما يناسبه الشدة والبطش شعر الفخر والحماسة ، ونلاحظ في الموسيقي أن النغمة الواحدة إذا وقعت علي الكمنجة ثم وقعت بعينها علي البيانة كانت النغمتان

---

١) ديوان لبيد ص ٢٣٢ .

٢) ديوان لبيد ص ٢٣٦ .

مختلفتين تأثيرا، وهذا يقابله في الشعر القافية ، فالقصيدة علي قافية قد يكون لها أثر لا يكون إذا قيلت علي قافية أخري"([1]). ونلحظ ذلك في ميل لبيد في قصائده الإسلامية إلي القافية المقيدة التي يكون رويها ساكنا ،خاليا من الوصل كما هو ظاهر في قوله:([2])

إن تقوي ربنا خير نفل وبإذن الله ريثي وعجلْ

أحمدُ الله فلا ندّ له بيديه الخير ما شاء فعلْ

من هداه سبل الخير اهتدى ناعم البال ومن شاء أضلْ

هذا بالنسبة إلي الموسيقي الخارجية في شعر لبيد الممثلة في الوزن والقافية، أما بالنسبة للموسيقي الداخلية الممثلة في اختيار الألفاظ والمفردات التي تتكون منها الموسيقي الخارجية فإننا نلحظ كذلك أنها تختلف في شعر لبيد بعد الإسلام عمّا كانت عليه في الجاهلية ، حيث كان للبيد بعد إسلامه معجمًا شعريًا جديدا يختلف عن معجمه الشعري في الجاهلية ، وذلك بفضل أثر القرآن والسنة النبوية علي شعره .

فالشاعر الماهر هو الذي يحاول أن تكون موسيقي ألفاظه حين يطرق المعنى العنيف غيرها في المعاني الهادئة الرقيقة، ومن هذا تكون المخالفة بين نسبة شيوع الحروف في اللغة شعرها ونثرها، ونسبة شيوعها في لغة الشعر وحدها"[3].

وهذا الأمر نراه واضحا بقوة في شعر لبيد الإسلامي محل الدراسة والبحث ، وما كان يتسم به من رقة وسلاسة ووضوح بخلاف ما كان عليه شعره الجاهلي من غرابة ووعورة ووحشية ، وكثرة إيراد الأمثلة والنماذج في المباحث السابقة تغنينا عن إعادتها مرة أخري في هذا المبحث.

---

١) ينظر مجلة الرسالة لأحمد الزيات العدد الرابع عشر ص ٨ الصادرة سنة ١٣٣٥٥ هـ ١٩٣٣م.

٢) ديوان لبيد ص ١٣٩.

٣) موسيقي الشعر د إبراهيم أنيس طبعة مكتبة الأنجلو المصرية الطبعة السادسة ص ٤٣.

المبحث الثالث

(شعر لبيد الإسلامي في مرآة النقد الأدبي)

يعد لبيد بن ربيعة من الشعراء المُكْثِرين المشهورين بغزارة نظم الشعر والاكثار منه ، ويؤيد ذلك قول نسب لأم المؤمنين السيدة "عائشة بنت أبي بكر الصديق " – رضى الله عنها حينما قالت: "رحم الله لبيدا إنى لأروى له ألف بيت"(١).

وهو أول من قيَّم وحكم على شعره من الشعراء المخضرمين وتعرّض له بالنقد ، فكان إذا " سُئل عن أعظم الشعراء حسب تقديره بدأ بامرئ القيس، ثم ثنّى بطرفة ، ثم ذكر نفسه.

قيل: مرّ لبيد بالكوفة على مجلس بني نهد وهو يتوكأ على مِحْجن له، فبعثوا إليه رسولًا يسأله عن أشعر العرب فسأله فقال: الملك الضليل ذو القروح، فرجع فأخبرهم، فقالوا: هذا امرؤ القيس، ثم رجع إليه فسأله: ثم من؟ فقال له: الغلام المقتول من بني بكر، فرجع فأخبرهم، فقالوا: هذا طرفة، ارجع فاسأله ثم من؛ فسأله، فقال: ثم صاحب المحجن حيث يقول:

إنّ تَقْــوَى ربنــا خيــر نَفَــل وبـــإذن الله ريثـــي وعجـــل

أحمـــدُ الله فـــلا نـــدّ لـــه بيديــه الخيــر مــا شــاء فعـل

مـن هداه سبل الخير اهتدى نـاعم البـال ومـن شـاء أضـل(٢)

وتعد تلك النظرة من لبيد نظرة موضوعية محايدة، إذ لو كان يشوبها التعصب لشخصه أو الانحياز إلي شعره لما كان قدّم امرئ القيس وطرفة على نفسه، ثم شفعها بالتعليل لذلك الحكم على شاعريته وذلك بذكر بعض الأبيات التى رآها من خير ما أنشد وقال من شعر .

---

١) شرح القصائد السبع الطوال لمحمد بن القاسم الأنبارى ، تحقيق عبد السلام هارون الناشر دار المعارف الطبعة الخامسة ص ٥١١ .

٢) شرح المعلقات السبع حسين بن أحمد بن حسين الزَّوْزَني الناشر: دار احياء التراث العربي . الطبعة: الأولى ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٢ م ص ١٦٦ .

وشرُف شعر لبيد بنظر ونقد النبي الكريم ﷺ له، حيث قال ﷺ: "أصدق كلمةٍ قالها شاعر قول لبيد: ([1])

ألا كل شيء ما خلا الله باطلُ ...وكل نعيم لا محالة زائل

وانقسم النقد والأدباء حول شعر لبيد بن ربيعة ما بين مُشيد به رافع من قدره، وبين مُهوّن منه ومقلل من شأنه ، فمنهم من رآه سهل المنطق رقيق الحواشى، ومنهم من عدّه مثالاً لخشونة الكلام وصعوبته ، وكلٌ من هذين الفريقين ينظر إلي شعره من زاوية مختلفة عن الآخر ، حيث كان ذلك الاختلاف بين النقاد مرجعه إلي الاختلاف والتباين بين طبيعة العصرين (الجاهلى والإسلامى) اللذين أدركهما لبيد وأنشأ فيهما شعره .

فأما الذين وصفوا شعره بالرقة والسهولة فقد نظروا إلي أشعاره ذات السمات والمظاهر الدينية ، وأما الذين وصفوه بالخشونة والصعوبة فقد نظروا إلي شعره الجاهلى الذي كان يصور فيه مظاهر البيئة البدوية والصحراوية ، ويفتخر فيه بأمجاد قومه وأيام قبيلته .

فمن أصحاب الفريق الأول نجد ابن قتيبة "يصف شعره بسهولة المنطق ورقة الحواشى([2]).

ويتّفقُ ابن سلام مع ابن قتيبة في هذا الرأي بقوله: "وَكَانَ لبيد بن ربيعَة أَبُو عقيل فَارِسًا شَاعِرًا شجاعا وَكَانَ عذب الْمنطق رَقِيق حواشى الْكَلَام وَكَانَ مُسلما رجل صدق"([3]).

---

١) النقد الأدبي ومقاييسه خلال عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وعصر الخلافة الراشدة المؤلف: محمد عارف محمود حسين الناشر: الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة الطبعة: السنة الخامسة عشرة ص ٢٧٦ .

٢) الشعر والشعراء لابن قتيبة ص ٢٦٧ .

٣) طبقات فحول الشعراء: محمد بن سلّام بن عبيد الله الجمحي تحقيق : محمود محمد شاكر الناشر: دار المدني – جدة ١ / ١٣٥

بينما يرى كل من أبي عمرو ابن العلاء والأصمعى غير تلك المنزلة لشعر لبيد ، فأما أبو عمرو فيقول عنه: "ما أحد أحب إليّ شعرًا من لبيد بن ربيعة، لذكره الله ﷻ، ولإسلامه، ولذكره الدين والخير ، ولكن شعره رحي بزر"(١).

وأما الأصمعى فقال: "شعر لبيد كأنه طيلسان طبرى؛ يعنى أنه جيّد الصنعة، وليست له حلاوة. فقال له ابن دريد : أفحل هو؟ قال: ليس بفحل. وإنما كان رجلا صالحا، كأنه ينفى عنه جودة الشعر"(٢).

وقيل لبشار بن برد: أخبرنا عن أجود بيت قالته العرب، فقال : إن تفضيل بيت واحد على الشعرِ كلّه لشديد، ولكنْ أحسن كلَّ الإحسان لبيد في قوله: (٣)

أكــذِبِ الــنفسَ إذا حــدَّثتَها إنّ صدقَ النفسِ يُزري بالأملْ

وإذا رُمــتَ رحــيلاً فارتحــلْ واعصِ ما يأمُرُ توصيمُ الكَسَلْ

وقد بلغ من قيمة وجودة شعر لبيد بن ربيعة أنه كان مرجعًا ومقصدًا لعلماء اللغة وأصحاب التفاسير يستخرجون منه الشواهد التي تساعدهم علي وضع أصول وقواعد اللغة ، ويستنبطون منه بعض المعاني والشروح لما استغلق واستعصي عليهم في فهم بعض الآيات والنصوص الدينية من أمثلة ذلك قَول ابْنُ هِشَامٍ: الْأَنْدَادُ: الْأَمْثَالُ، وَأَحَدُهُمْ نِدٌّ. قَالَ لَبِيدُ بْنُ رَبِيعَةَ:

أَحْمَدُ اللَّهَ فَلَا نِدَّ لَهُ ... بِيَدَيْهِ الْخَيْرُ مَا شَاءَ فَعَلَ(٤)

---

١) يقصد بذلك أن شعره جعجعة وطين وليس وراءه كبير شيئ .الموشح فى مآخذ العلماء على الشعراء للمرزبانى ص ٨٥ .

٢) الموشح فى ملآخذ العلماء علي الشعراء لأبي عبيد الله محمد المرزبانى ص ٨٤ .

٣) لباب الآداب لأبي منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي النيسابوري الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ – ١٩٩٧ م ص ١٣٠ . تحقيق: أحمد حسن لبج

٤) ينظر السيرة النبوية لابن هشام تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر الطبعة: الثانية، ١٣٧٥هـ – ١٩٥٥ م ١ / ٥٣٣ .

وفي موضع آخر قَالَ ابْنُ هِشَامٍ : جَنَحُوا لِلسَّلْمِ: مَالُوا إلَيْكَ لِلسَّلْمِ. الْجُنُوحُ: الْمَيْلُ. قَالَ لَبِيدُ بْنُ رَبِيعَةَ:

جُنُوحُ الْهَالِكِيَّ عَلَى يَدَيْهِ ... مُكِبًّا يَجْتَلِي نُقَبَ النِّصَالِ[1]

وعلى الرغم من كل تلك الآراء والأقوال حول شعر لبيد فمما لا شك فيه أن لبيد بن ربيعة من أشهر الشعراء المخضرمين ([2])، وأنه من أصحاب المعلقات، وقال عنه النابغة الذبيانى "هو أشعر العرب، وعلّل قوله بأنه كان يغوصُ علي المعنى الغريب والحكمة البليغة".([3])

وهناك من ذهب إلي نفى قول لبيد الشعر بعد إسلامه كابن قتيبة الذي قال:([4]) " ولم يقل لبيد فى الإسلام إلا بيتا واحدا. واختلف فى البيت، قال أبو اليقظان هو :

الحمد لله إذ لم يأتنى أجلى ... حتّى كسانى من الإسلام سربالا

وقال غيره بل هو قوله:

ما عاتب المرء الكريم كنفسه ... والمرء يصلحه الجليس الصالح

ومن النقاد المحدثين من نظر إلي شعر لبيد نظرة تاريخية وقسّمه إلي قسمين : قسمًا جاهليًا وقسمًا إسلاميًا .

وذهب إلي أنه في القسم الجاهلي لا يخرج إلي مديح أو هجاء ، بل يمضي مفاخرًا فخرًا عنيفًا بآبائه وفتوته معتدًا اعتدادًا لا حدّ له بالأقربين من أسرته ، ومن ثمّ وقف مع ابن عمه عامر بن الطفيل ضد علقمة بن عُلاثة حين تفاخرا إلي هرم بن قطبة الفزاري . بينما في القسم الإسلامي من شعره نجد أن قراءته

---

١) السابق ١ / ٦٧٤ .

٢) تاريخ الأدب العربي لمصطفي صادق الرافعي ١/ ٨٦ .

٣) شرح المعلقات السبع للزوزنى ص ١٥٤ .

٤) الشعر والشعراء لابن قتيبة ١ / ٢٦٧ .

للقرآن الكريم تهذّب من لفظه وتدخل عليه غير قليل من الطلاوة ، ونجد الروح الإسلامية ماثلة في تضاعيف أبياته بشكل كبير".([1])

وكان لشعر لبيد بن ربيعة أثرٌ واضح وكبير في تطور وازدهار النقد الأدبي ، وعوّل عليه بعض النقاد في نشأة بعض النظريات والآراء النقدية ."([2])

ثم يذكرُ أن الرواة قد يكونوا قد تزيدُوا في نسبة بعض الأشعار إلي لبيد ولكن كثرة ما يُنسب إليه منها يدلُ علي أن الإسلام تعمقَ روحه ، وأنه استشعر معانيه ومواعظه ، فمضي يحيلها أبياتًا وأشعارًا ، بل قصائد دينية كاملة "([3]).

وأشار الدكتور طه حسين – رحمه الله – ([4]) إلي معلقة لبيد بن ربيعة واستجاد أبياتها ، وأشار إلي أن أفضل ما في معلقته قول لبيد الإسلامي:([5])

فَاقْنَعْ بِمَا قَسَمَ المَلِيْكُ فَإِنَمّا قَسَمَ الخَلَائِقَ بَيْنَنَا عَلَّامُهَا

وإذا الأمانةُ قُسِّمت في مَعشَرٍ أَوفَي بِأَوفرِ حظِّهَا قَسامُها

والدارس لشعر لبيد بن ربيعة لابد أن يُفرّق بين شعره الجاهلي وبين شعره الإسلامي، حيث إن شعر لبيد في الجاهلية يختلف تمام الاختلاف عن شعره بعد الإسلام، وذلك من حيث الألفاظ والأساليب، والأغراض والمعاني، والمضامين والأفكار .

حيث كانت جُلّ أشعاره في الجاهلية تدور حول أغراض الفخر والوصف، حيث كان لبيد كثير الافتخار بنفسه وأهله وبقبيلته، وذكر مناقبهم ومآثرهم، وكان كذلك كثير الوصف للراحلة والصحراء والمطر، وذكر الديار والأحبة

---

١) العصر الإسلامي للدكتور شوقي ضيف ص ٩١ – ٩٢ .

٢) ينظر في تفصيل ذلك أثر القرآن الكريم في تطور النقد العربي للدكتور محمد زغلول سلام طبعة دار المعارف الطبعة الثالثة ص ٨٥ .

٣) العصر الإسلامي ص ٩٤ .

٤) المعارك الأدبية لأحمد أنور الجندي الناشر مكتبة الأنجلو المصرية سنة ١٩٨٣ م ص ٢٣٥ .

٥) ديوان لبيد ص١٧٩ .

الظاعنين . وفي هذا الجانب من شعره نجد الإغراب والحوشية في الألفاظ والتراكيب، والحدة والعنف في المعاني والمضامين والأفكار، والتطويل في النفس الشعري والوزن العروضي، والميل إلي القافية الصاخبة الشديدة .

إما إذا انتقلنا إلي شعره الإسلامي فإننا نري أن الإسلام وقراءته للقرآن الكريم قد صنع منه شاعرًا آخر غير ما كان عليه في الجاهلية، حيث هذّب القرآن ألفاظه وأساليبه، وأدخل علي معانيه وأفكاره الطلاوة والرقة، وسيطرت الروح الإسلامية العذبة الرقيقة علي شعره، حتي صار في أبهي صورة وأنصع بيان.

الخاتـــــــــــــمة

وبعد هذا العرض السريع الذي تناول قراءة ودراسة الجانب الإسلامي في شعر لبيد بن ربيعة خلص البحث إلي عدة نتائج وحقائق من أهمها ما يلى :

- صدق إيمان لبيد بن ربيعة وحسن إسلامه الذى ظهر واضحًا وجليًا من خلال شعره الإسلامي العذب الهادئ الرقيق .
- رفض مقولة أن لبيد بن ربيعة لم ينظم في الإسلام إلا بيتا واحدًا ، وذلك لما ثبت في هذا البحث من قول لبيد بن ربيعة ونظمه العديد من القصائد والأبيات الإسلامية التي حملت قيم الإسلام ومبادئه وتشريعاته السامية .
- تنوع وتعدد الجوانب والاتجاهات الدينية والإسلامية في شعر لبيد بن ربيعة ، واحتوائه العديد من مظاهر الإسلام وصوره .
- تباين واختلاف شاعرية لبيد بن ربيعة في الإسلام عما كانت عليه في الجاهلية كمًا وكيفًا ، حيث هدأت جذوة شاعريته عما كانت عليه في الجاهلية من توهج وتدفق ، وهدأ وقصُر نفسه الشعري عما كان عليه من قبل من تطويل، فصار ينظم المقطعات والقصائد القصيرة بعد معلقات ومطولات الجاهلية ، واختلفت كذلك نبرة وحدة صوته الشعري من الصخب والحدة الجاهلية إلي رقة العاطفة، وهدوء الطبع، وانسيابية القول والنظم .
- اختلاف أغراض وفنون القول في شعر لبيد الإسلامي عما كان عليه في الجاهلية ، فتحول مع الإسلام من الفخر القبلي والوصف البدوى إلي القيم الروحية والدينية العالية من الحكمة والزهد والعظة، والإنطلاق من ضيق الدنيا إلي رحابة الآخرة وسعتها .
- ضياع الكثير من شعر لبيد بن ربيعة وخاصة الذي أبدعه وأنشأه في ظل الإسلام، وذلك راجع إلي إنشغاله بالإسلام عن تدوينه وحفظه، وكذلك لتراجع نظرة النقاد والأدباء إلي شاعريته ونظمه بعد إسلامه.

- كثرة وجود فن الأراجيز والمقطعات الشعرية القصيرة في شعر لبيد بعد الإسلام عما كان عليه شعره في الجاهلية من كثرة وتطويل .
- تأثر شعر لبيد الواضح والكبير بعد الإسلام بمفردات وتعبيرات ومعاني القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة ، مما أضفي عليه المزيد من التألق والجمال في المعنى والمبني .
- غلبة اتجاه الحكمة والعظة في شعر لبيد الإسلامي وسيطرته علي سائر فنون القول والنظم في شعره بعد الإسلام.
- غياب شعر الفتوحات والجهاد في شعر لبيد الإسلامي، وذلك راجع إلي عدم مشاركته أوحضوره غزاوت الإسلام وأيامه المجيدة.

قائمة المصادر والمراجع

أولًا المصادر:

- البيان والتبيين للجاحظ الناشر: دار ومكتبة الهلال، بيروت عام النشر: ١٤٢٣ هـ .
- البصائر والذخائرلأبي حيان التوحيدي، المحقق: د/ وداد القاضي الناشر: دار صادر – بيروت الطبعة: الأولى، ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م .
- السيرة النبوية لابن هشام تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر الطبعة: الثانية، ١٣٧٥هـ – ١٩٥٥ م.
- الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء أبو عبيد الله بن محمد بن موسي المرزباني .
- المسند الصحيح للإمام مسلم بن الحجاج النيسابوري تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت .
- العمدة في محاسن الشعر وآدابه لأبي على الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد الناشر: دار الجيل الطبعة: الخامسة، ١٤٠١ هـ – ١٩٨١ م .
- الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري لأبي القاسم الحسن بن بشر الآمدي تحقيق/ السيد أحمد صقر الناشر: دار المعارف – الطبعة الرابعة [سلسلة ذخائر العرب .
- الشعر والشعراء المؤلف: أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري الناشر: دار الحديث، القاهرة عام النشر: ١٤٢٣ هـ .
- المعمرون والوصايا لأبي حاتم سهل بن محمد بن عثمان الجشمي السجستاني بدون ذكر الطبعة .

- ديوان لبيد ديوان لبيد بن ربيعة العامرى طبعة دار صادر بيروت لبنان .
- جمهرة أشعار العرب . لأبي زيد محمد بن أبي الخطاب القرشي تحقيق : علي محمد البجادي الناشر: نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع .
- خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب: عبد القادر بن عمر البغدادي تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة الطبعة: الرابعة، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م .
- سنن ابن ماجه ابن ماجة أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي الناشر: دار إحياء الكتب العربية .
- شرح المعلقات السبع حسين بن أحمد بن حسين الزَّوْزَني الناشر: دار احياء التراث العربي الطبعة: الأولى ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢ م .
- شرح القصائد السبع الطوال لمحمد بن القاسم الأنبارى ، تحقيق عبد السلام هارون الناشر دار المعارف الطبعة الخامسة .
- طبقات فحول الشعراء: محمد بن سلّام بن عبيد الله الجمحي تحقيق : محمود محمد شاكر الناشر: دار المدني – جدة .
- عمدة القارئ شرح صحيح البخاري لأبي محمد محمود بن أحمد بدر الدين العيني . الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت .
- لسان العرب جمال الدين بن منظور الأنصاري الناشر: دار صادر – بيروت الطبعة: الثالثة – ١٤١٤ هـ .
- لباب الآداب لأبي منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي النيسابوري الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان
- الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م .
- مقدمة ابن خلدون لعبد الرحمن محمد بن خلدون الناشر دار مصر للطباعة والنشر سنة ٢٠٠٦ م .

ثانياً المراجع :

– أثر القرآن الكريم في تطور النقد العربي للدكتور محمد زغلول سلام طبعة دار المعارف الطبعة الثالثة .

– إعجاز القرآن والبلاغة النبوية للرافعي تصحيح محمد سعيد العريان مطبعة الاستقامة سنة ١٣٥٩ هـ – ١٩٤٠ م.

– التحول الأدبي في العصر الإسلامي بواعثه وتوجهاته د صفوت زيد مطبعة التركي طنطا طبعة سنة ٢٠٠٢ م .

– المعارك الأدبية أحمد أنور الجندي الناشر مكتبة الأنجلو المصرية سنة النشر ١٩٨٣ م .

– شرح ديوان لبيد بن ربيعة شرح وتعليق الدكتور إحسان عباس سلسلة التراث العربي طبعة وزارة الإرشاد والأنباء بالكويت طبعة سنة ١٩٦٢ م .

– مناهج البحث الأدبي د سعد ظلام مطبعة الأمانة بالقاهرة .

– من حديث الشعر والنثر د طه حسين طبعة دار المعارف الطبعة الثانية عشرة .

– مجلة الرسالة لأحمد الزيات العدد الرابع عشر ص ٨ الصادرة سنة ١٣٣٥٥ هـ ١٩٣٣ م .

– موسيقي الشعر د إبراهيم أنيس طبعة مكتبة الأنجلو المصرية الطبعة السادسة .

– العصر الجاهلي للدكتور شوقي ضيف طبعة دار المعارف الطبعة الثامنة.

– العصر الإسلامي د شوقي ضيف طبعة دار المعارف الطبعة التاسعة عشرة .

– النقد الأدبي ومقاييسه خلال عهد الرسول ﷺ وعصر الخلافة الراشدة المؤلف: محمد عارف محمود حسين الناشر: الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة الطبعة: السنة الخامسة عشرة .